

نشأة الحضارة سورية في عصور ما قبل التاريخ

تأليف
أكيرا تسونيكلي

رسم
أيومي إكاراشي

ترجمة
ساري جمو



نشأة الحضارة
سورية في عصور ما قبل التاريخ

تأليف
أكيرا تسونيلي

٢٠٠٤
أيومي إنراشي

ترجمة
ساري جمو

نشأة الحضارة
سورية في عصور ما قبل التاريخ

تأليف: أكيرا تسونيكى
رسوم: أيومي إكاراشي
ترجمة: ساري جمو
تدقيق الترجمة: ناهد المرعي
تحرير النص: ساري جمو
ناهد المرعي
عبد الرحمن جويي

تمت طباعة هذه القصة المصورة بتمويل من
وكالة الشؤون الثقافية في الحكومة اليابانية
٢٠٢٠



الطباعة: شركة مايدا للطباعة المحدودة، اليابان

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ولا يجوز نسخ أي جزء من هذا القصة المصورة
دون الحصول على إذن خطي مسبق.

مركز أبحاث حضارة غرب آسيا
جامعة تسوكوبا
١-١-١ تينوداي، تسوكوبا، إيباراكي
اليابان

فهرس المحتويات

١.....	مقدمة
٥.....	الفصل الأول: السورّيون الأوائل
٦.....	١-١ السورّيون القدماء
١٠.....	٢-١ تطوّر صناعة الأدوات الحجرية
١٢.....	٣-١ الإنسان الحديث في سورية
١٦.....	٤-١ التواصل الثقافي بين الإنسان الحديث وإنسان النياندرتال
٣٣.....	الفصل الثاني: نشأة الزراعة في العالم
٣٤.....	١-٢ قرية جرف الأحمر
٤٠.....	٢-٢ طرق جديدة لصيد الغزلان
٥٦.....	٣-٢ التوجّه إلى غوبكلي
٦٨.....	٤-٢ غوبكلي
٧٨.....	٥-٢ صنع الخبز يُفاجئ الناس (نظام المُقايسة)
٩٠.....	٦-٢ العودة إلى قرية جرف الأحمر والبدء بإنتاج الغذاء
٩٩.....	الفصل الثالث: تطوّر القرى
١٠٠.....	١-٣ مُغادرة قرية جرف الأحمر
١٠٦.....	٢-٣ التوجّه غرباً
١٢٢.....	٣-٣ سهل التّوج
١٢٨.....	٤-٣ الوصول إلى أرض الماء
١٤٨.....	٥-٣ نهاية حياة ساما
١٦٤.....	٦-٣ اختراع الفخّار
١٧٤.....	٧-٣ تصنيع الخرز الأزرق
١٨٢.....	٨-٣ تطوّر نظام الأختام وبواكر ظهور الكتابة
١٩٥.....	الفصل الرابع: نشأة المدن
١٩٦.....	١-٤ من قرية زيادة إلى مدينة ناجار
٢٠٨.....	٢-٤ مأساة في ضواحي ناجار
٢١٨.....	٣-٤ دادايا يُصبح ملكاً

تمهيد

تطوّرت المجتمعات البشرية ووصلت إلى ما هو عليه اليوم من ازدهار وتقدّم من خلال الانتقال من مرحلة حضارية إلى أخرى، واستغرقت هذه التحولات عشرات آلاف السنين. لاشكّ أن كافة الشعوب البشرية شاركت ولعبت دوراً في بناء الحضارة، إلا أنّ إسهاماتهم لم تكن على قدر من المساواة إذ ما تطرّقنا إلى الإنجازات. تُمثّل حضارات الشرق الأدنى القديم والحضارة السورية على وجه التحديد، أهميّة خاصّة وجوهرية، وترجع أهميّتها إلى التأثير المباشر الذي أسهمت به هذه الحضارات على تاريخ حضارات العالم. ومن هنا، فإن إدراك الدور الذي لعبته هذه الحضارات وشعوبها وثقافتها يساعد الإنسان في عالمنا المعاصر على فهم الحاضر واستشراف المستقبل. وسنبيّن من خلال هذه القصة المصوّرة عن الحضارة السورية أن التاريخ البشري هو سجلّ من الأحداث المتتابعة والمتراصة التي تربط الماضي بالحاضر وصولاً للمستقبل.

لقد بنى الإنسان القديم حضارات وصلت درجات عالية من التقدّم والحداثة والرقي وترك لنا ماضٍ أقمنا عليه أسس حضارتنا. ولكن الكثير من تلك الحضارات اندثرت أو دُفنت في باطن الأرض وبطون التلال بانتظار معاول تُنقب عنها وتكتشفها، وبعضها مازال ينتصب شامخاً يسرد أحداث الماضي وعميق التاريخ. وأصبحت الكثير من المواقع والمعالم الأثرية بمثابة إرث ثقافي وركيزة أساسية من ركائز هوية الأمم الثقافية التي من خلالها تستمد جذورها وأصالتها، وترتبط حاضرها بماضيها، وتعزّز حضورها في الساحة الثقافية العالمية. وعلى ضوء ذلك، نحن مُلزَمون جميعاً بحماية التراث والآثار التي نستمد منها أصالتنا وجذورنا وتمثّل ذاكرة جماعية توحدنا. ولتعزيز الاهتمام بالآثار والحث على حمايتها والحفاظ عليها، يتجلّى دورنا كأثاريين وباحثين لتوضيح أهميتها وصلتها المباشرة بحياة كلّ فرد منا.

تتناول هذه القصة المصوّرة بفصولها الأربعة البدايات الأولى للحضارة، وتركّز على الحضارة السورية والتاريخ السوري بشكل خاص، وعصور ما قبل التاريخ، والإنسان القديم في العصر الحجري وإنجازاته وغيرها من المواضيع. كما تُغطّي هذه القصة فترات طويلة من تاريخ سورية كُتبت أحداثها بأسلوب سهل الفهم بناء على نتائج التنقيبات والأبحاث الأثرية التي أُجريت على مدار عقود في الشرق الأدنى بشكل عام وسورية على وجه الخصوص.

تبدأ القصة بتغطية جوانب تتعلّق بهجرة البشر ووصولهم إلى سورية عبر طرقٍ عديدة وانتشارهم إلى باقي أصقاع الأرض، وكيف لعبت الظروف المناخية وتوفّر الغذاء دوراً بارزاً في هجرة الإنسان القديم واستقراره. يفتقر الكثير المعرفة الكافية عن الإنسان القديم وحضارته وثقافته وإنجازاته الفريدة. فكثير من السوريين سمع أو قرأ عن إيلا وأغاريت وماري وتدمر، ولكن قلّة من يعرفون شيئاً عن حوض الكوم، وكهف الديرية، وتل أبو هريرة، وتل الكرخ، وتل صبي أبيض، وتل براك، وتل القرامل، وتل أسود، وتل القراصة وغيرها من مواقع عصور ما قبل التاريخ. وكثيراً ما يتبادر إلى أذهان البعض عند ذكر مصطلح العصر الحجري أو إنسان العصر الحجري صورة الإنسان البدائي محدود الذكاء والغير قادر على الكلام والذي يُغطّي جسده بجلود الحيوانات وأوراق النباتات ويسكن الكهوف المُظلمة، وأنّ حياته تقتصر على الصيد وجمع الطعام وغيرها من الأفكار المنقوصة. إلا أن نتائج التنقيبات الأثرية واكتشاف الأدوات التي كان يستعملها في حياته اليومية، أثبتت أن إنسان العصر الحجري كان على قدر من التفكير والذكاء وقد سخّر الطبيعية ومواردها لصنع أدوات مُتقنة تساعده في الصيد وتحميه من هجمات الحيوانات المفترسة. لو فكّرنا في طريقة صنع الأدوات الحجرية وتشذيبها لتصبح نهاياتها مدبّبة وحادة

لأيقننا أن الأمر ليس سهلاً. كما أن اختيار أنواع محدّدة من الحجارة لتشكيلها وصنع أدوات منها يدلُّ على أن الإنسان القديم كان يفكر باختيار المواد الأفضل وسعى للعثور عليها. ومع تطوّر قدراته وخبرته صنّع أنواعاً جديدةً من الأدوات الحجرية تماشى مع متطلبات حياته كالفأس اليدوية والحراش ذات النهايات المدببة لتناسب صيد الحيوانات الضخمة.

سكن الإنسان الكهوف والملاجئ الصخرية وأنشأ معسكرات للسكن والأكواخ البسيطة المؤقتة في مواسم الصيد كما بنى المواقع التي تشير إلى استخدامه النار. تطوّرت حياة الإنسان القديم تدريجياً وأصبحت المنازل دائرية إلى بيضوية الشكل مقسمة إلى حجرات أرضياتها مرصوفة بالحجارة. واستمر في تأمين قوته بالإعتماد على الالتقاط والصيد ولكن بمهارة أكبر، وصنع أدوات جديدة متطورة ومُتقنة كالمقحف، كما ظهرت ملاحح الحياة الروحية والعناية بالموتى ودفنهم وفق طقوس وشعائر جنائزية.

تطوّرت حياة الإنسان تدريجياً وبدأت تتبلور كبرى الإنجازات البشرية في حضارات الشرق الأدنى القديم في فترات العصر الحجري الحديث وتجلّى ذلك حوالي الألف العاشر قبل الميلاد واستمرّ ذلك لعدة آلاف من السنين. فقد ظهرت التحوّلات الكبرى في تاريخ البشرية وخطى أسلافنا نحو الحياة النصف رعوية أو شبه المستقرّة مع الإعتماد على الموارد الطبيعية وصيد الغزلان والخنزير وجمع الثمار والحبوب كالقمح والشعير البرّي. وتُصنّف هذه الفترة من حياة الإنسان بأنها مرحلة إنتقالية من نمط الحياة في الفترات السابقة المعتمد في المقام الأول على الصيد وجمع الطعام إلى بداية الزراعة وتدجين الحيوان. وترافق ذلك تطوّرات في مجالات عدة منها العمرانية، حيث أصبحت البيوت السكنية دائرية الشكل نصف غائرة في الأرض، ثم تطوّرت لتصبح مستطيلة أو شبه مستطيلة الشكل مقسّمة إلى غرف صغيرة. رافق ذلك ظهور بعض المباني ذات الوظيفة المجتمعية والمعابد والتي تُشير إلى ظهور المفاهيم الدينية. كما ظهرت دلائل تُشير إلى المُعتقدات وعبادة الأجداد حيث كان يتم فصل رأس المتوفى عن جسده ومن ثم تُدفن الجمجمة تحت أرضية المنزل أو في محمي للجماجم. وأيضاً ظهرت مفاهيم يُعتقد أنّها كانت مُرتبطة بعبادة الثور واعتباره رمزاً للخصب والقوة ودليل ذلك رؤوس الثيران المُعلّقة على جدران المباني أو المثبتة في أرضيات المعابد.

في حوالي الألف التاسع قبل الميلاد، تحوّلت المجتمعات إلى الزراعة وبدأ الإنسان باستغلال الموارد البرية والتحكّم بها وقام بزراعة القمح والشعير والعدس وتدجين الحيوانات كالماعز والغنم والخنزير وغيرها. وبالتالي، أصبحت الحياة أكثر استقراراً وانعكس ذلك على بنية المجتمع وأدى إلى زيادة عدد السكان، وبُنيت القرى، وظهرت الحرف وصناعة الأدوات الزراعية، واستُغلّ الفائض من المنتجات في التجارة والذي أدى لزيادة الغنى وظهور الفوارق بين الفقراء والأغنياء. كما ظهرت المفاهيم والمُعتقدات الدينية المرتبطة بالمرأة وتجسيدها في هيئة تماثيل طينية كرمز للخصب أو الإلهة الأم، بالإضافة إلى تبلور مفهوم عبادة الأجداد وظهور الجماجم البشرية المحصّصة. تُشير هذه الأدلة إلى أن الطقوس الجنائزية لعبت دوراً بارزاً في تنظيم مجتمعات العصر الحجري الحديث.

مع بداية الألف السابع قبل الميلاد، كانت الزراعة قد انتشرت في معظم أنحاء الشرق الأدنى القديم، وبدأ إنتاج الفخار على نطاق واسع وظهرت أقدم الفخاريات في غرب آسيا في سورية. في الوقت نفسه، أُخترعت الأختام لختم المواد والبضائع الهامة، وكان هذا أول نظام ختم في العالم، وقد ظهرت أقدم الأدلة على ذلك في تل الكرخ شمال غرب سورية. يُشير ظهور الأختام إلى وجود فائض في الإنتاج والحاجة إلى آلية لحفظ

وتتميز السلع ذات القيمة وحماتها أثناء التجارة وتبادل السلع. فالختم يشير إلى الملكية الفردية، ودليل على ممارسة التجارة وإدارة السلع في العصر الحجري الحديث. وتعتبر الأختام من العناصر المهمة جداً كآلية للتواصل والتفاعل بين المجتمعات والتي يُعتقد بأنها الخطوة الأولى في أنظمة التسجيل والبداية المُمهّدة للكتابة.

وفي الألف السادس قبل الميلاد، ازدهرت صناعة الفخار وظهر الفخار الملوّن الجميل والمعروف بأنية تل حلف. وما يُميّز هذه المرحلة هو استخدام الأفران لشي الفخار الملون في موقع تل حلف، والذي يُشير إلى أن البداية الفعلية لاستخدام التقانة الحرارية والتحكم بدرجات الحرارة كانت قد نشأت في سورية.

مضى الإنسان قُدماً في مسيرته وانتقل من حياة الصيد والالتقاط إلى الحياة الزراعية ومن ثم إلى الحياة الحضرية في نهاية الألف الخامس وبداية الألف الرابع قبل الميلاد. وظهرت الأدلة التي تشير إلى التحضر وبناء المدن في عدد من المواقع الأثرية السورية التي تعود إلى العصر النحاسي كتل براك وتل حموكر في الحسكة، وتل حّام التركان في الرقة. وتشير التنقيبات إلى اكتشاف أسوار وجدران سميكة مصنوعة من الطوب تحيط بهذه المواقع بالإضافة إلى وجود مبانٍ عامة ضخمة وشبكة من الطرق الرئيسية التي تربط المباني ببوابات الأسوار. وماتزال النقاشات القائمة حول التحضر ونشأة أوائل المدن تتراوح بين نتائج التنقيبات الأخيرة في المواقع السورية التي تُشير إلى احتمالية أن تكون سورية هي مهد التحضر والتمدّن، وبين الاعتقاد السائد أن جنوب بلاد الرافدين وخاصة مدينة أوروك هي مهد المجتمع الحضري في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد.

وحدثت الكثير من الأحداث المهمة في سورية والمناطق من حولها خلال الفترات اللاحقة الممتدة من الألف الثالث حتى الألف الأول قبل الميلاد كتنظيم المدن والولايات وتشديد الأسوار واختراع الأبجدية وصناعة الزجاج وغيرها.

قدّمت الحضارة السورية منفردة من الإنجازات التي أسهمت في تطوّر الحضارات البشرية ما لم تقدّمه أية حضارة أخرى في العالم. وأصبحت تلك الإنجازات بمثابة ذاكرة حيّة يتردّد صداها في العالم حتى اليوم، وهوية يعترف ويفتخر بها السوريون. فسورية بتاريخها الطويل وآثارها الضاربة في القدم لم تستعر أو تقتبس هويتها من الحضارات التي تفاعلت معها وامتزجت بها على أرضها، بل أغنت وألهمت تلك الحضارات، وأثرت بها أكثر ما تأثرت، وتركت بصمتها واضحة على جبين التاريخ وفي كل المجالات... فالعالم لا يزال مديناً لسورية.

إهداء

بقدر ما تمتلكه أرض سورية من مواقع أثرية وممتلكات ثقافية لعبت دوراً بارزاً في التاريخ الإنساني، بقدر ما تفتقر رفوف المكتبات والمناهج الدراسية إلى مراجع تساعد في رفع الوعي الأثري للأجيال وإدراك معنى التراث وأهميته وقيّمته. ولا يخفى على أحد ما يعنيه غياب الوعي الأثري وعواقبه التاريخية والحضارية وما آلت إليه آثارنا من تدمير وسرقة وإتجار بها. فالترية على أهمية التراث والمساهمة في رفع ونشر الوعي الأثري تقع على مسؤوليتنا جميعاً وكلّ حسب قدرته. فما زال الكثير من السوريين باختلاف فئاتهم العمرية وحتى حملة الشهادات الجامعية يفتقرون المعرفة حول أهمية آثار سورية ويغيب عنهم الكثير من المعلومات الأساسية والإسهامات التي قدّمها حضارة بلادنا للبشرية.

نفتقر إلى كمّ هائل من المصادر الأثرية والمراجع وكتب الأطفال والمواد التعليمية التي تناسب كافة الفئات العمرية وخاصة التي تستهدف اليافعين والأطفال. وعلى الرغم من انتشار البعثات الأجنبية في كثير من المواقع الأثرية السورية والتنقيب فيها لعقود ونشر الكثير من نتائج تنقياتها ضمن مجلّلات وكتب أغنت بها مكتبات جامعاتها ومتاحفها، إلا أن ما وصلنا باللغة العربية لا يكاد يُذكر. ومن هذا المنطلق قرّرنا تقديم هذا العمل الفريد من نوعه باللغة العربية وهو بداية لأعمال أخرى تهدف إلى توفير مصادر للأبحاث الأثرية وسهولة الوصول إليها.

إيماناً منّا بأن العلم ورفع الوعي هو السبيل الأسمى لتوعية الأطفال عن قيمة الآثار وتحفيزهم على ضرورة الحفاظ عليها، تطوّعنا نحن السوريون من جامعتي طوكيو وتوكوبا لإنجاز هذه القصة المصوّرة وكلّنا أمل بأن تصل إلى أكبر عدد ممكن من السوريين وخاصة الأطفال. نهديكم هذا العمل ونضعه بين أيديكم ونأمل أن تسهم جهودنا في مساعدة الأطفال السوريين أينما حلّو على فهم تاريخ سورية وأهمية تراثها الثقافي الذي يقف شاهداً على تاريخ البشرية.

ساري جمو

ناهد المرعي

عبد الرحمن جوي

كلمة شكر

أسهم تاريخ سورية بدور بارز في تاريخ غرب آسيا كنقطة تحوّل هامة في التاريخ الإنساني. وقد انجزنا هذه المانغا (القصة المصوّرة) على أمل مساعدة الأطفال السوريين في فهم أهمية تاريخ سورية وحماية تراثها الثقافي الذي يُعتبر شاهداً حياً على التاريخ السوري لسنوات عديدة قادمة.

أعددتُ هذه المانغا كجزء من مشروع المساهمة الدولية لحماية التراث الثقافي في الجمهورية العربية السورية لعام ٢٠١٩، الذي عهدت به وكالة الشؤون الثقافية في الحكومة اليابانية إلى جامعة تسوكوبا. وأود أن أتقدّم بخالص الشكر والامتنان إلى وكالة الشؤون الثقافية اليابانية لمساهمتها في إعداد هذه القصة المصوّرة.

كما أتقدّم بالشكر الجزيل لكل من ساهم في إعداد هذه القصة المصوّرة والواردة أسماؤهم أدناه.

إعداد المسوّدة الأصلية:

أكيرا تسونكي، بروفيسور في جامعة تسوكوبا، اختصاص علم آثار الشرق الأدنى القديم.

الرسوم:

أيومي إكاراشي، فنانة رسوم مانغا، درست علم الآثار والجيولوجيا في جامعة تسوكوبا وتخرّجت منها.

الترجمة إلى اللغة العربية:

ساري جمو، زميل أبحاث ما بعد الدكتوراه في جامعة طوكيو، حاصل على شهادة الدكتوراه اختصاص علم آثار الشرق الأدنى القديم من جامعة تسوكوبا.

تدقيق الترجمة:

ناهد المرعي، مُرشحة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة تسوكوبا، اختصاص أدب ياباني.

تحرير النص:

عبد الرحمن جوبي، طالب ماجستير في جامعة تسوكوبا، كلية الدراسات العليا للنظم وهندسة المعلومات.

كل الشكر لجميع من ساعد في إنجاز هذه القصة المصوّرة

آذار/مارس ٢٠٢٠

أكيرا تسونكي

مقدّمة

تُعتبر سورية على مرّ تاريخها الطويل والعريق مكاناً ذا أهمية كبيرة في العالم، وقد أسهمت بدور بارز في تطوّر تاريخ البشرية. إذا نظرنا إلى خارطة العالم، سنجد بأن الشرق الأوسط يقع عند تقاطع القارّات القديمة الثلاث آسيا، أوروبا، وأفريقيا. في حين أنّ سورية هي مُفترق طرق مهمّ لمنطقة الشرق الأوسط وتقع وسط الممرّ الذي يربط بين هذه القارات الثلاث. وهي نقطة عبور مهمّة للانتقال من أفريقيا إلى آسيا أو أوروبا، وممرّ يربط آسيا بأوروبا. أضف إلى ذلك أنّ تاريخ البشرية قد تطوّر بشكل كبير في سورية.



عندما غادرَ جنسنا البشري المولود في القارة الأفريقية أفريقيا وانتشرَ في آسيا وأوروبا، أصبحت سورية نقطة تحوّل في هذا المرحلة. لذلك، كانت سورية مهد البشرية والحضارة التي امتدّت إلى آسيا وأوروبا.

إنتاج الغذاء ...

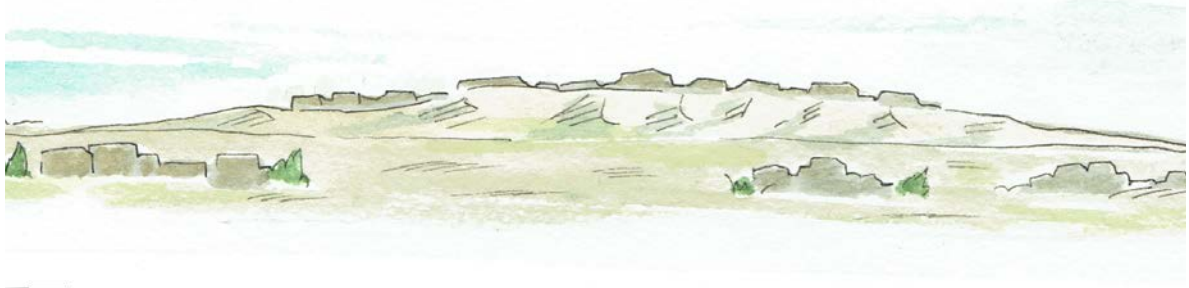
يعيشُ الناس في يومنا هذا من خلال إعداد طعامهم بأنفسهم بشكل رئيسي وتناوله بشكل أساسي بدلاً من البحث عنه وجمعه من الطبيعة. ف لحم البقر والخبز وغيرها أصبحت من الأطعمة النموذجية في حياتنا. ولقد غيرت المجتمعات المُنتجة للغذاء من خلال الزراعة ورعي الماشية حياة الإنسان بشكل جذري، ونشأت المدن و بُنيت الحضارة. وأدى ذلك في نفس الوقت إلى ظهور فجوة



بين الفقراء والأغنياء، كما تسبّب ذلك في تدمير البيئة. تُشير الأدلة الأثرية إلى أنّ التحوّل إلى إنتاج الغذاء قد غير المجتمعات البشرية بشكل جوهري. وقد ظهرت إحدى أقدم الأدلة على المجتمعات المُنتجة للغذاء في أحد مواقع حوض الفرات في سورية، ويعود تاريخ هذا الإكتشاف إلى ما يُقارب ١٢ ألف سنة مضت، أي قبل ظهور أي دليل آخر على ذلك في العالم.

التحصّر ...

يَعيشُ الكثير منّا اليوم في تجمّعات كبيرة في المدن أكثر منها في الأرياف. فالمدن تقع في قلب التغيّرات المختلفة بما في ذلك السياسة، والإقتصادية، والفكرية، والإبتكار التكنولوجي وغيرها. لكنّ أولى المدن التي أنشأها الإنسان كانت قبل حوالي ٦٠٠٠ عام، وظهرت أقدم الأدلة التي تُشير إلى ذلك في أحد المواقع الأثرية في شمال شرق سورية.



الكتابة والأبجدية ...



من الصعب تخيل حياتنا اليوم بدون حروف أو كتابة. وهنا يتوجب علينا أن ندرك أنّ النموذج الأصلي للحياة واستخدام هذه الحروف كان قد بدأ على ما يبدو في قرية قديمة في سورية. فبعد آلاف السنين من المحاولات التي استمرت على مدى طويل، اكتمل أقدم نظام للكتابة في العالم وهو الكتابة المسماة بالكتابة المسماة بالكتابة المسماة بالكتابة. إلا أنّ الأصل والخطوة الأولى قبل الوصول إلى هذه المرحلة كان نتاج براعة وإبداع في اختراع أداة لإدارة الأشياء والبضائع والتحكم بها، والتي بدأت أول مرة في التاريخ في قرية قديمة في شمال غرب سورية. بالإضافة إلى أنّ اختراع نظام الرموز الصوتية (الفونوغرام)، والذي أدى بدوره إلى ظهور الأبجدية الحالية، يعود أصله إلى إحدى مدن سورية القديمة.

التقنيات المتقدمة ...



برع السوريون القدماء في مجال التقنيات المتقدمة التي تُستخدم النار في تصنيعها وتشكيلها، كالتعدين وصناعة الزجاج. حيث كانت التقنيات التي قدها الصّناع السوريون في هذه المجالات معروفة وعلى نطاق واسع في عالم البحر الأبيض المتوسط. وكانت تُصدّر العديد من المصنوعات البرونزية والحديدية والزجاجية من سورية في العصور القديمة.

مركز إشعاع ديني ...

أصبحت سورية أيضاً من المنطلقات الأولى للديانات التوحيدية التي يعتنقها المسيحيون والمسلمون حالياً. وتحكي لنا أطلال الكنائس والمساجد القديمة المنتشرة في جميع أرجاء سورية عن التاريخ المهم ومقدسات هذا البلد.

أسس الحضارات الحديثة ...

تتمثل التحولات المهمة في تاريخ البشرية والتي نشأت وظهرت في سورية بتطور المجتمعات القديمة إلى مجتمعات مُنتجة للغذاء، وبداية الحياة الحضريّة، وبناء المدن، والابتكارات التكنولوجية المتقدمة مثل الأبجدية والكتابة، والتعدين، وتطور الأديان العالمية. وبالتالي، هذا يجعلنا ندرك أنّ الكثير من أسس الحضارة الحديثة في عالمنا الحديث تعتمد على ما قدمه أجدادنا السوريون للبشرية.

عزيزي القارئ، تُقدّم لك هذه القصة المُصوّرة تاريخ سورية العريق والمهم بطريقة سهلة الفهم، وبأسلوب سرد قصصي هزلي يعتمد على الرسم والصورة. ونأمل من خلال هذه القصة أن تستمتع بقراءة تاريخ سورية وتتمتع فيها قدمته سورية للبشرية.

الفصل الأول

السورّيون الأوائل



في قديم الزمان ... هذا ما كانت تبدو عليه الصحراء السورية قبل مليون وثمانمائة ألف سنة.

لم تكن المنطقة صحراوية جافة كما هو حال الصحراء السورية اليوم، بل كانت البراري والواحات الخضراء منتشرة، والينابيع تتفجر هنا وهناك.



عين الفيل

يُقال إن أقدم إنسان في سورية عاش هنا في هذه المنطقة.



ولكنه ليس سلفنا المباشر، بل نوع مختلف قليلاً. يُطلق عليه اسم الإنسان المنتصب القامة أو الهومو إركتوس.

استعمل الهومواركتوس كلمات مصحوبة بإشارات وأصوات

وا - ون
(انتظر قليلاً!)

او - وا
(أنا أشعر بالجوع!)

يبدو أنهم لم يكونوا ناطقين جيدين



وكان من الصعب للغاية حماية أنفسهم، فالرمح
الحجرية والأقواس والسهام وغيرها من الأسلحة
لم تكن قد أُخترعت بعد.



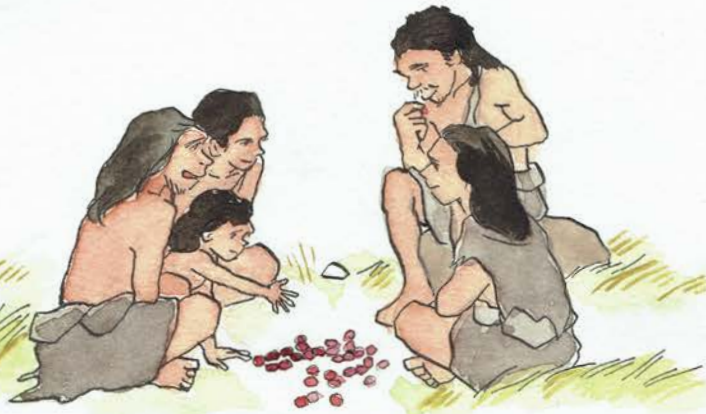
كان هناك العديد من الحيوانات الخطيرة من
حولهم، بما في ذلك الأسود والذئاب والضباع
وابن آوى.

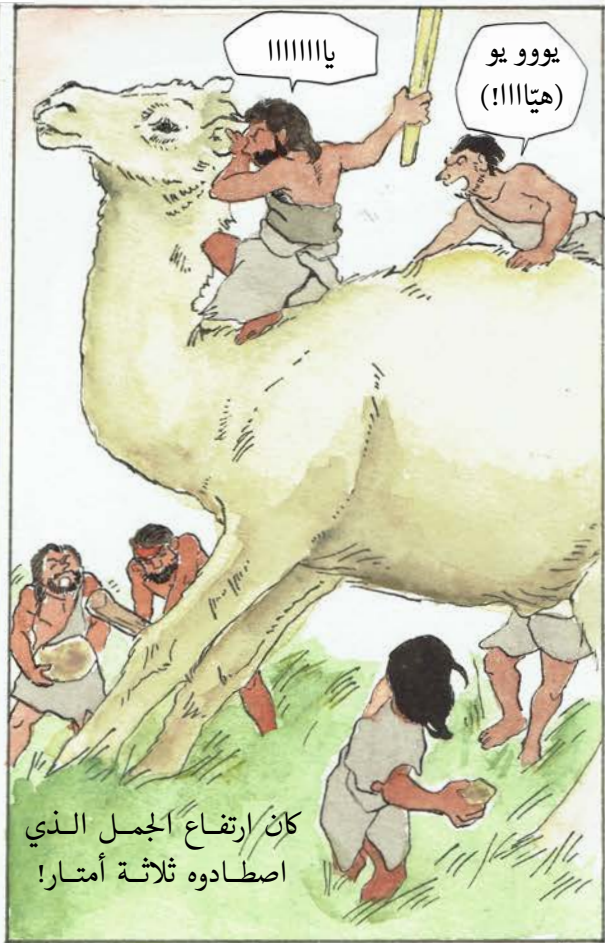


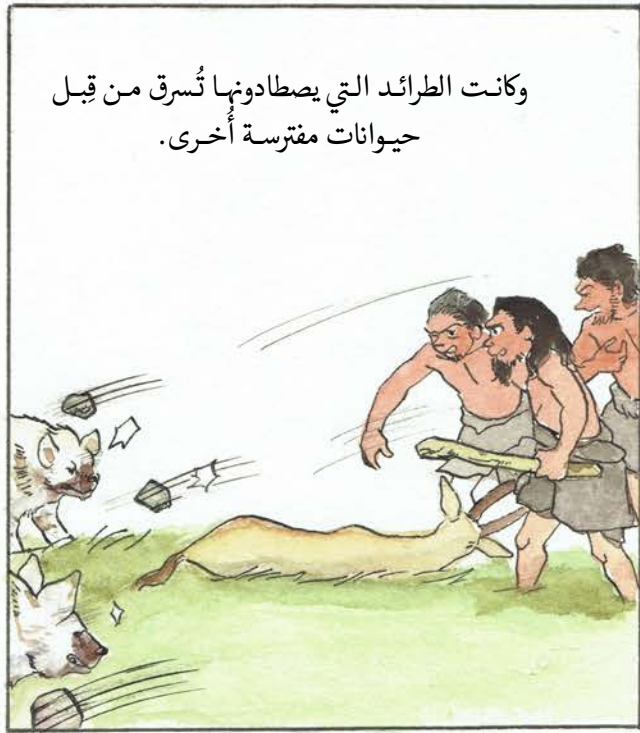
لكنهم كانوا يعرفون نوع النباتات
التي يمكنهم أكلها.

كانوا يأكلون البقوليات والفسق
وبعض النباتات الشوكية كالبان
وغیرها.

كما أكلوا الحيوانات الصغيرة
كالغزلان والفئران البرية والقنافذ
والسلاحف.

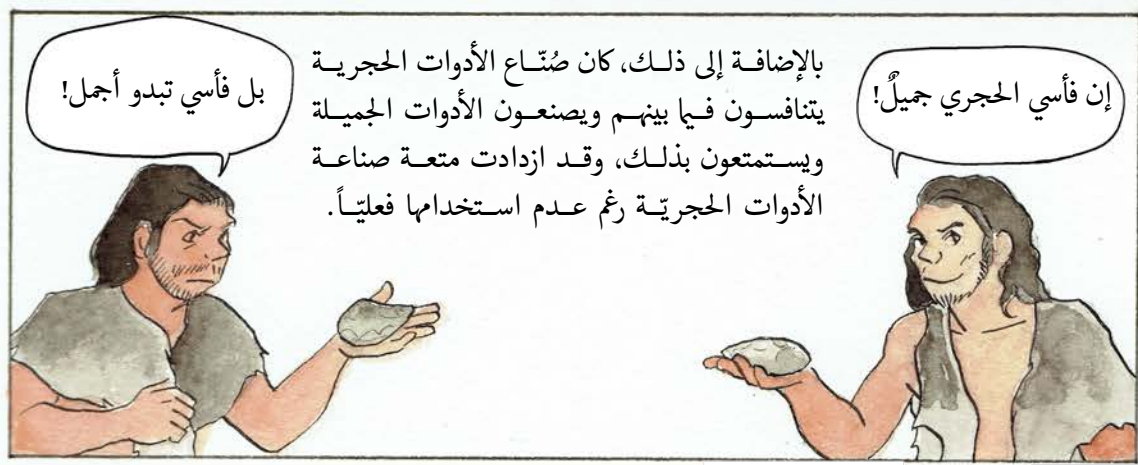






٢-١ تطوّر صناعة الأدوات الحجرية

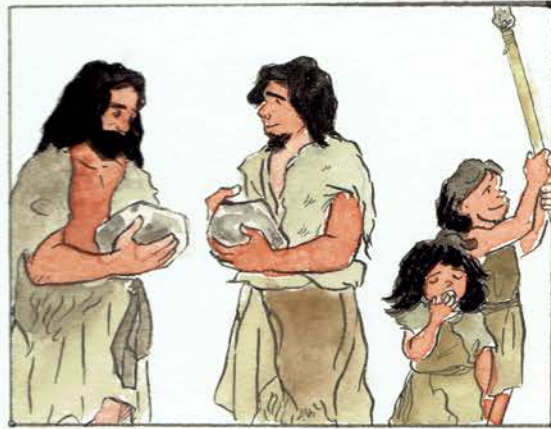






كانوا يُحْتَمون في معسكر بالقرب من حوض الكوم،
بين الصحراء السورية والفرات.

لقد تحوّلت إلى أرض صحراوية بعد أن كانت أرضاً
غنيّة بالمراعي في ذلك الوقت.



كانوا يمتلكون تقنيات جديدة لصنع الأدوات الحجرية.

وحتى ذلك الحين، كان بالإمكان صنع أداة حجرية واحدة من كتلة حجرية واحدة، لكن مع تقنيات التصنيع التي جلبوها، أصبح بالإمكان إنتاج العديد من الأدوات من حجر واحد فقط.



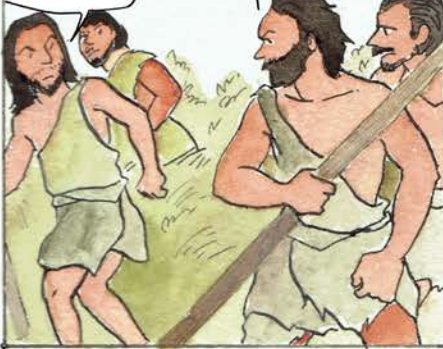
إنها أكثر حدة من الأداة السابقة!



لقد جلبوا معهم هذه التقنيات من شرق أفريقيا، وابتكروا شكل الأدوات الحجرية التي تناسب البيئة السورية.

يجب أن تقتربوا من القطيع بهدوء من الجهة الخلفية، ونحن سننصب له كميناً من الأمام. وحاولوا ألا يلاحظوكم.

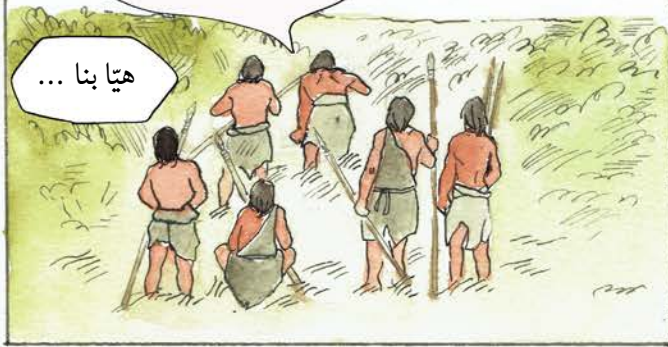
حسناً فهمنا.



وتمكنوا من الصيد بطريقة مختلفة باستخدام الشكل الجديد من الحراب التي صنعوها.

هناك قطع يضم حوالي عشرة حمير بريّة ...

هيتا بنا ...





في بعض الأحيان، كانت الأسود والذئاب تتصارع مع الإنسان للحصول على حيوانات المراعي.

لقد أمسكنا ثلاثة منهم.
دعونا نرجع إلى المعسكر قبل أن تأتي الأسود والذئاب.

ولكن بحلول هذا المرحلة أصبح الإنسان أكثر قوة من الأسود والذئاب. ولم تكن الحيوانات المفترسة تهرب منهم فحسب، بل كانوا يصطادونها أحياناً.



لكثي اليوم جمعت الكثير من الكرز البري، وأمسكت ببعض الفئران البرية.

يعتمد الكثيرون في طعامهم على النباتات الموجودة في المراعي أو الحيوانات الصغيرة.



إلا أن الصيد كان يفشل في كثير من الأحيان، وبالكاد كانوا يستطيعون اصطياد جمل أو حمار بري مرة واحدة أو مرتين بأفضل الأحوال كل شهر.

ما هذا!!
كنت أتطلع للحصول على حمار بري.

لم أوفق بالصيد اليوم أيضاً.
لم استطع الإمساك إلا بسلحفاة وقنفذ.



لقد، كانت الطبيعة السورية غنيّة بمتابة فردوس لكل من الإنسان والحيوان فازداد عدد البشر والحيوانات.

كان هناك الكثير من المصادر الغذائية النباتية والحيوانية، كالكرز البري والفسق والسلاجف والفئران البرية وغيرها ...



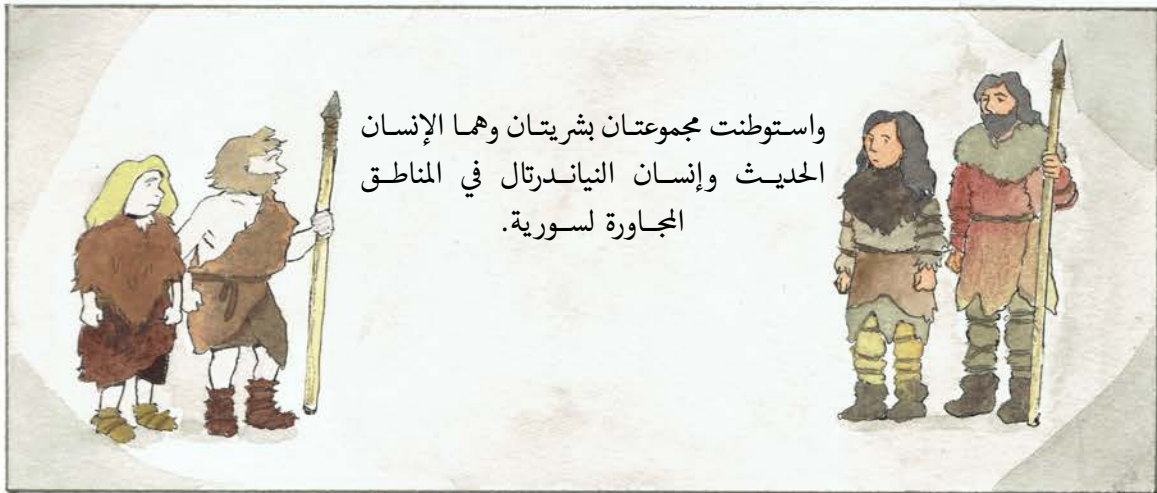
وكانوا يعرفون جيداً أماكن تواجد المراعي وأنواع الطعام الذي يمكنهم الحصول عليه فيها.

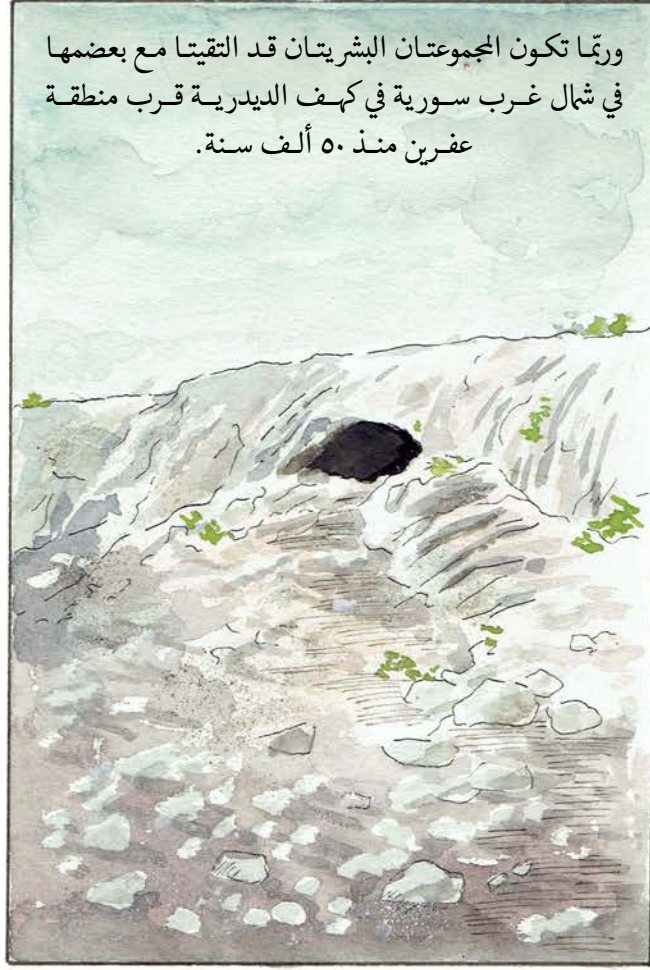
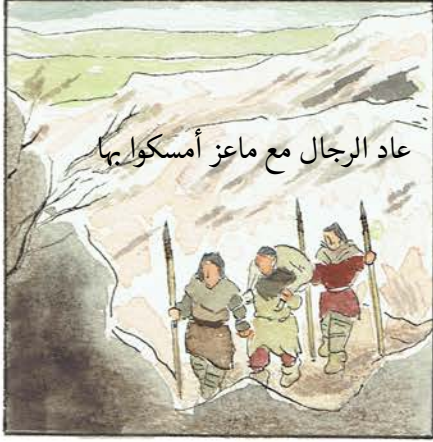
٤-١ التواصل الثقافي بين الإنسان الحديث وإنسان النياندرتال

عندما ازدهرت حياة الإنسان الحديث في سورية وبلاد الشام، سادت الأرض فترات من المناخ البارد جداً أو ما يُسمى بالعصر الجليدي.



ونجحت مجموعة بشرية بالوصول إلى بلاد الشام من أوروبا يطلق عليها النياندرتال (إنسان النياندرتال، الجند الأقرب إلينا)، وخاصة خلال الفترة الممتدة بين حوالي ٦٠ ألف إلى ٥٠ ألف سنة مضت.



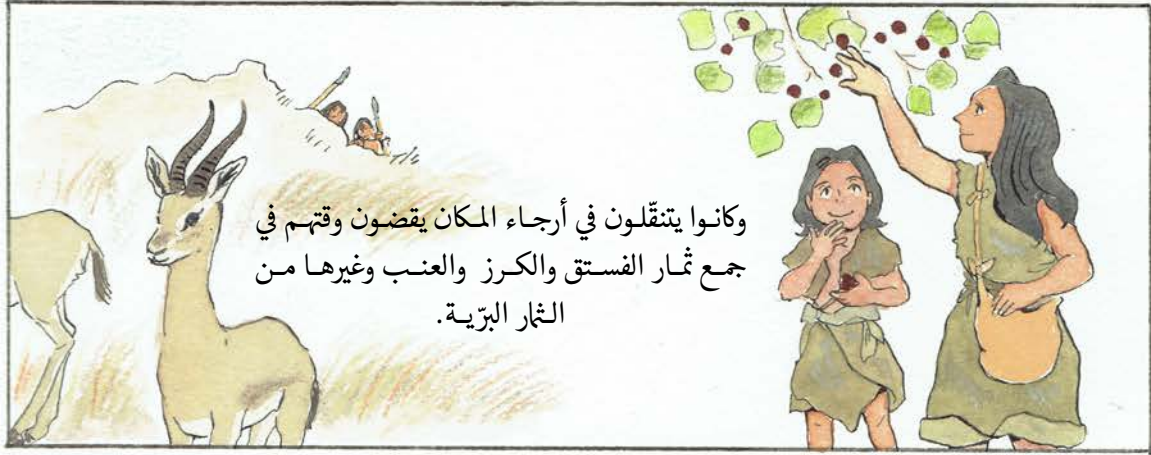




وهناك في المراعي، كانوا يسكنون في بعض الأحيان في الملاجئ الصخرية والمغارات، أو ينصبون الخيم، أو يبنون كوخاً بدائياً باستخدام أغصان الأشجار من الغابة.



يقضي بي بي وعائلته بضعة أشهر في الكهف خلال فصل الشتاء، ومع حلول فصل الربيع، يغادرون الكهف ويعبرون الجبال عائدين إلى الأراضي العشبية حيث توجد المراعي في الجانب الشرقي.



وكانوا يتنقلون في أرجاء المكان يقضون وقتهم في جمع ثمار الفستق والكرز والعنب وغيرها من الثمار البرية.

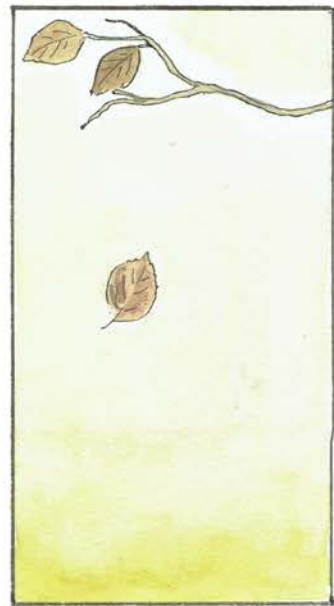


يجب أن نستعد للعودة إلى الكهف.



الوقت يمر بسرعة، لقد أصبحنا في نهاية فصل الخريف.

بي بي









إنهم مجموعة كبيرة ولياقتهم البدنية عالية.

إذا قمنا باستفزاز هؤلاء الغرباء وهاجمونا، فليس لدينا أدنى فرصة للفوز.



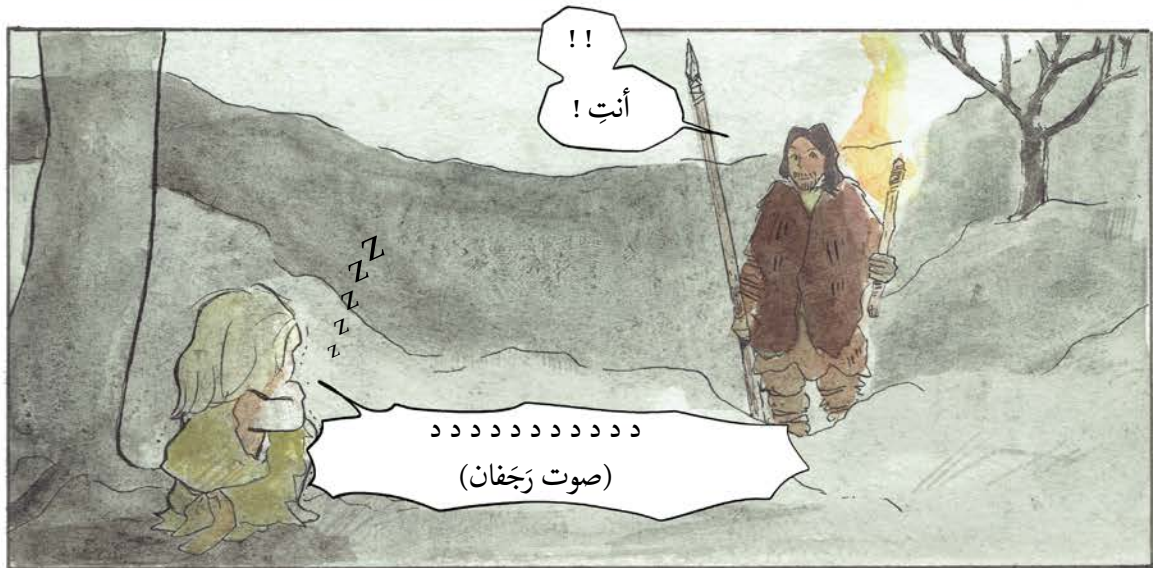
استمرّ الوضع على هذا الحال لعدّة سنوات. فكلّما عادوا إلى كهف الديدريّة مع بداية كل شتاء، كان هناك دائماً أشخاص مختلفون قد سبقوهم إلى الكهف.

شعّر بي بي وأفراد أسرته بخيبة أمل كبيرة بعد خسارتهم الكهف، وفي الوقت نفسه كان من الصعب عليهم أن يتفاعلوا مع مجموعة بشرية لم يروها من قبل، واستمرّ الوضع على هذا الحال ٢٠ سنة.











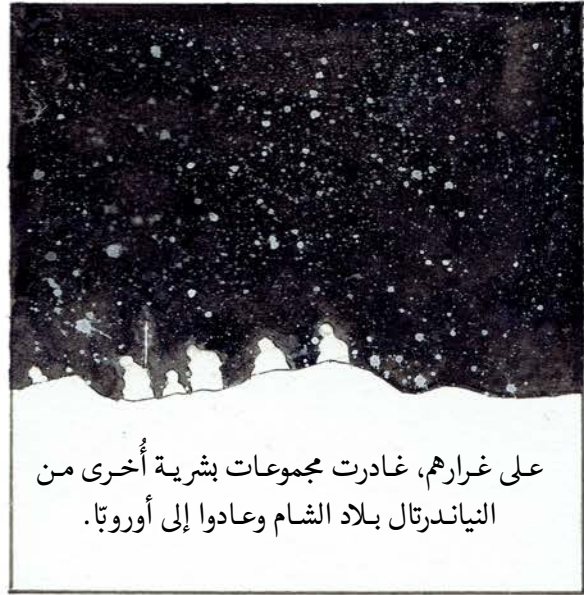
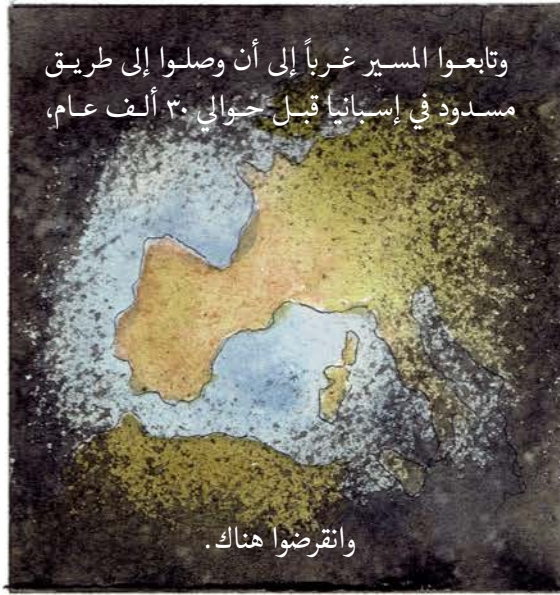












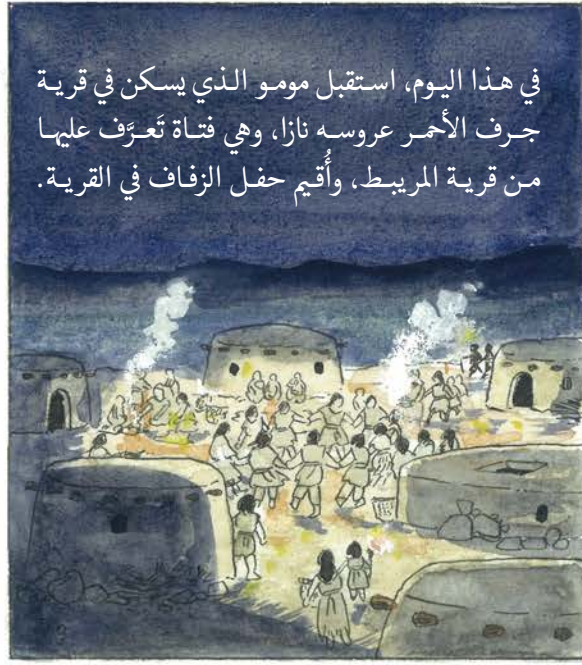
الفصل الثاني

نشأة الزراعة في العالم



١-٢ قرية جرف الأحمر









مرحباً مومو ...
هل تُريد صنع الأدوات
الحجرية، يا باجي؟

واو، مُذهلة.



أنا امتلكُ الموهبة.
إذا صنعتها بطريقة مُتقنة، فانظر النتيجة!



كاجي هو ابن عم مومو، ويعيش مع
أسرته في البيت المجاور لأسرة مومو.

مرحباً كاجي!



عندما تكبر
قليلاً بعد.

أريد الذهاب أيضاً.



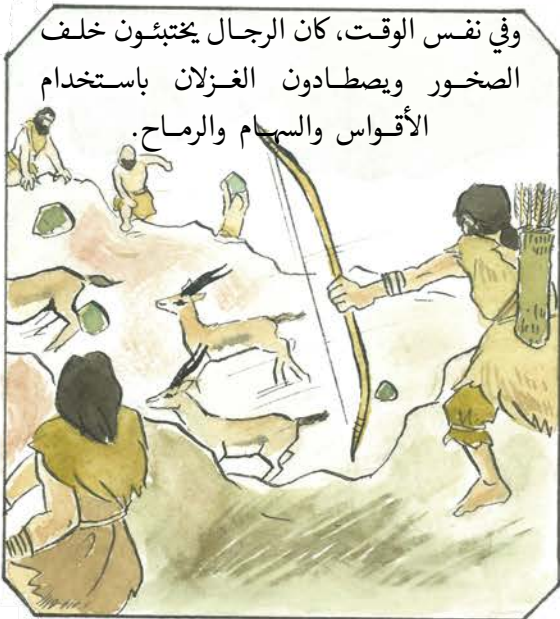
مومو، لم لا نذهب للصيد غداً؟
لقد حلَّ أول الصيف واقترب موعد
وصول قطيع الغزلان قادماً من
الجنوب.





٢-٢ طرق جديدة لصيد الغزلان









أنثى، مُن بمطاردة الغزلان.

هيا، دعونا نختبئ في مكان ما.



وهكذا قرّر القرويون تحدي صيد الغزلان.



عليكن فقط بالصياح عليها.

ياللهول، كيف يمكننا القيام بذلك؟



أنظري! هناك قطع من الغزلان.



هياااا

ياااا

لا، لا، ليس في ذاك الاتجاه، وجهوها بمحاذاة النهر.

واو!

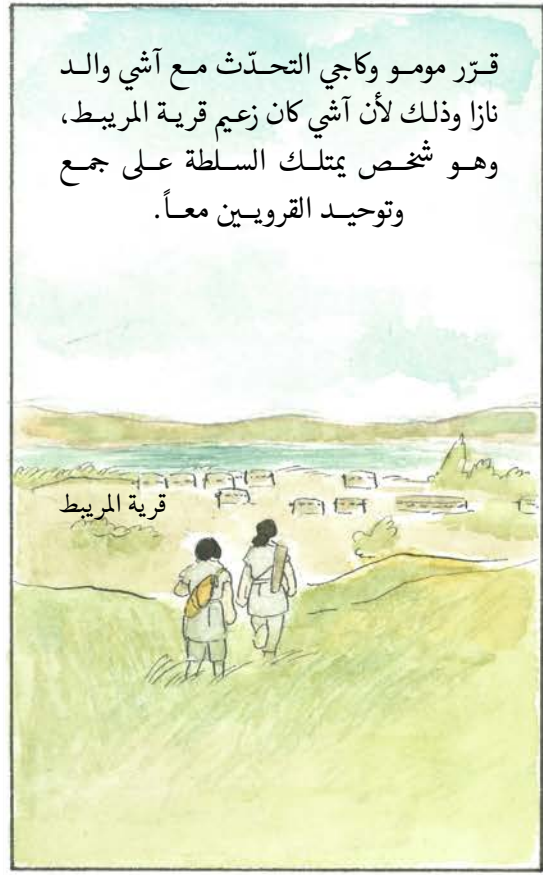
هذا مُحيف







إذاً، الأمر يتعلق بمطاردة
وصيد الغزلان!
يبدو الأمر مُثيراً للاهتمام.



قرّر مومو وكاجي التحدّث مع آشي والد
نازا وذلك لأن آشي كان زعيم قرية المريط،
وهو شخص يمتلك السلطة على جمع
وتوحيد القرويين معاً.



حقاً ماتقول؟

لا يمكننا تقبل الهزيمة أمام
الجنوبيين. فلنتعاون معاً.



هذا
صحيح.

عندما يتعلق الأمر بذلك،
علينا أن نضافر جهود
جميع من في القرية.



بعد ذلك، عاد كاجي ومومو من قرية المريط وجمعوا الناس في
مبنى القرية الجماعي من أجل تداول الأمر.





لنوجّه المسار الحجري باتجاه
نهر الفرات.

وهكذا، بدأ القرويون ببناء صفّ
من الحجارة على شكل مسار حجري
والاستعداد لصيد الغزلان عند عودتها
في العام المُقبل.



ونحن سنطارد الغزلان وندفع
بها إلى داخل المسار الحجري
نحو غابة الحور!

نحن سنكون محتبئين في
غابة الحور عند ضفّة
النهر ...



أنا أفكّر
بشكل سليم!

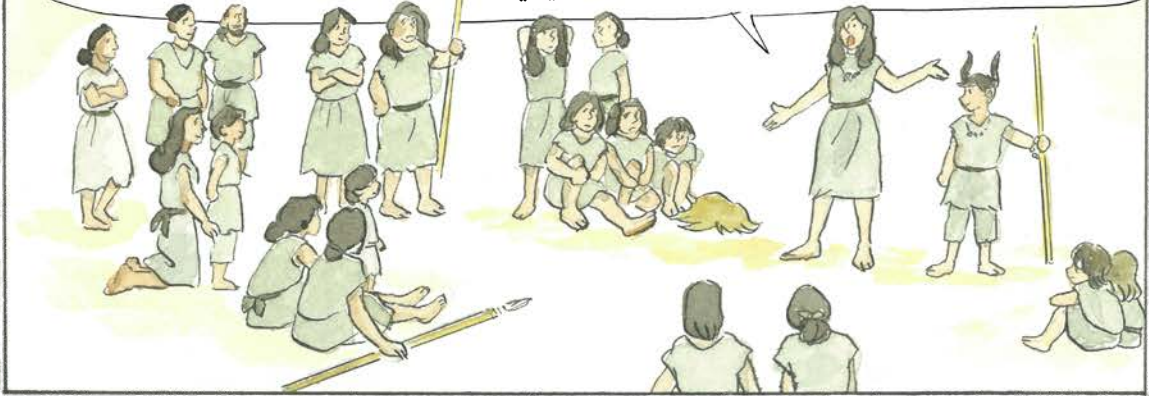
نازا!



لا بأس، سننجح

لكني أتساءل إن
كانت الخطة ستنجح
كما تُحطّط لها ...

الخطّة لهذه السنة كالتالي: سيختبئ عدد من الأشخاص في الأدغال، وستُحاصر قطع الغزلان وتدفع به إلى المسار الحجري في آنٍ واحد.



هيا تتدرب.

أنتم تُمثلون دور الغزلان.

حسناً.



لقد فُئنا أيضاً بتحضير الأقتعة والطبول لإخافة الغزلان.

وااا... يووو



هيا افعلها، افعلها.

معنويات الجميع مُرتفعة هذه السنة.

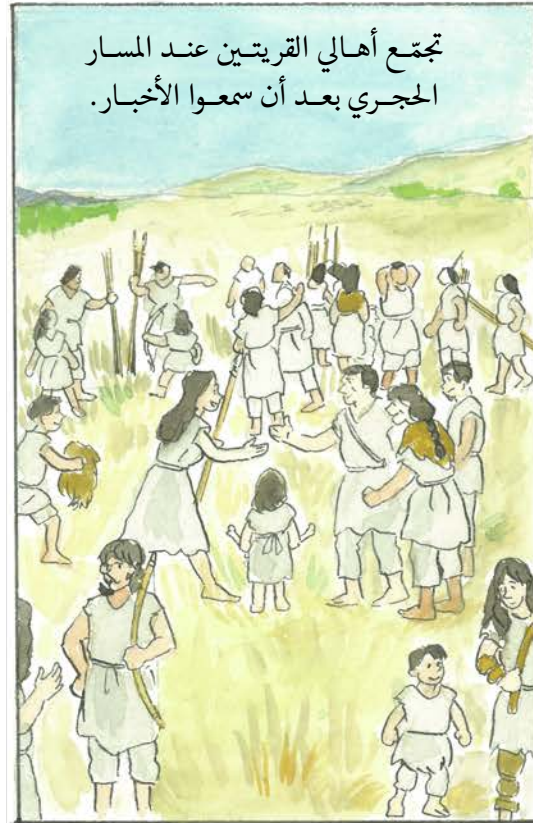
يووو ...

هااا ...

أصوات التدريب ...











وووووووو

هاااااااا



لقد جاءت.
لقد جاءت.



وفي أقل من خمس عشرة دقيقة،
سقط ما يقارب من ٣٠ غزال.

حُوصِرَتْ الغزلان في غابة
الخور، ولاقت حتفها.

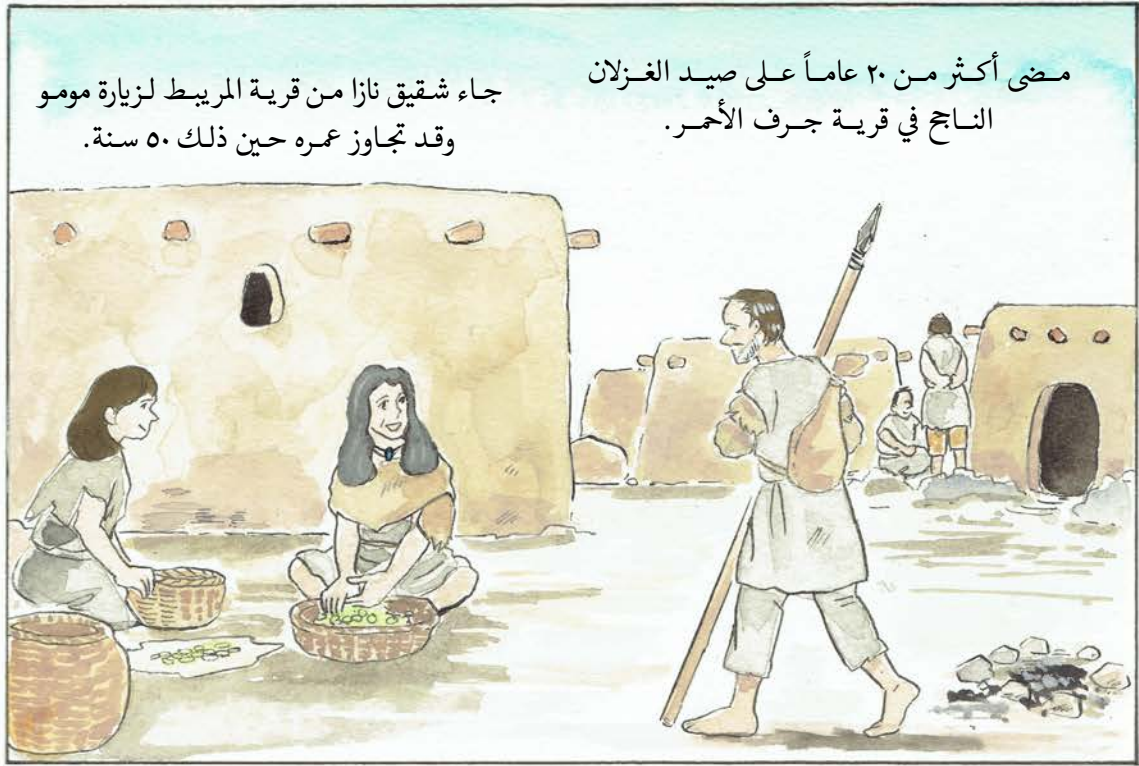
إنَّه نجاح مُذهل.

إنَّه حقاً عمل رائع.





٣-٢ التوجه إلى غوبكلي





غوبكلي ... لقد سمعتُ عن
هذا الأمر من قبل.



في الواقع، يدورُ حديثٌ في
قرينتنا حول الذهاب إلى
غوبكلي.



يقع غوبكلي أعلى نهر البليخ، وهو أحد روافد نهر الفرات.

يُقال بأن سكّان مناطق الرّوافد العليا والوسطى
لنهرَي دجلة والفرات يتجمّعون في الموقع ويقومون
بنصب دعائم حجرية ضخمة تُظهر شرف قريتهم،
ويُساهمون في إحياء ذكرى أجدادهم.



غوبكلي



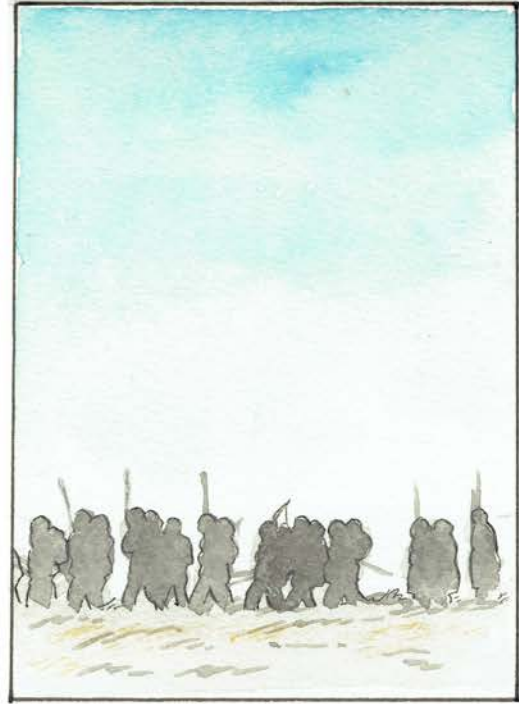
جمع مومو أهالي القرية وتحدثوا عن الذهاب إلى غوبكي.





وفي أحد أيام فصل الخريف الدافئة،
غادر الرجال القرية متجهين إلى غوبكلي.

















لقد فعلها.
باجي صيادٌ بارع.

ياااا، لقد نجحت!
لقد أصبته.



إنَّ صيدَ الخروفِ أسهلُّ من صيد الغزال،
فالخروف يتحركُ ببطء.

باجي



إنَّه ماهرٌ في استخدام
القوس والسهم.

إنَّ باجي مُدهش.

أنتم مُزِعجون!



إنَّه لذيذ، أريدُ أن
أطعمَ أمهاتنا لحمَ
الخروفِ أيضاً.

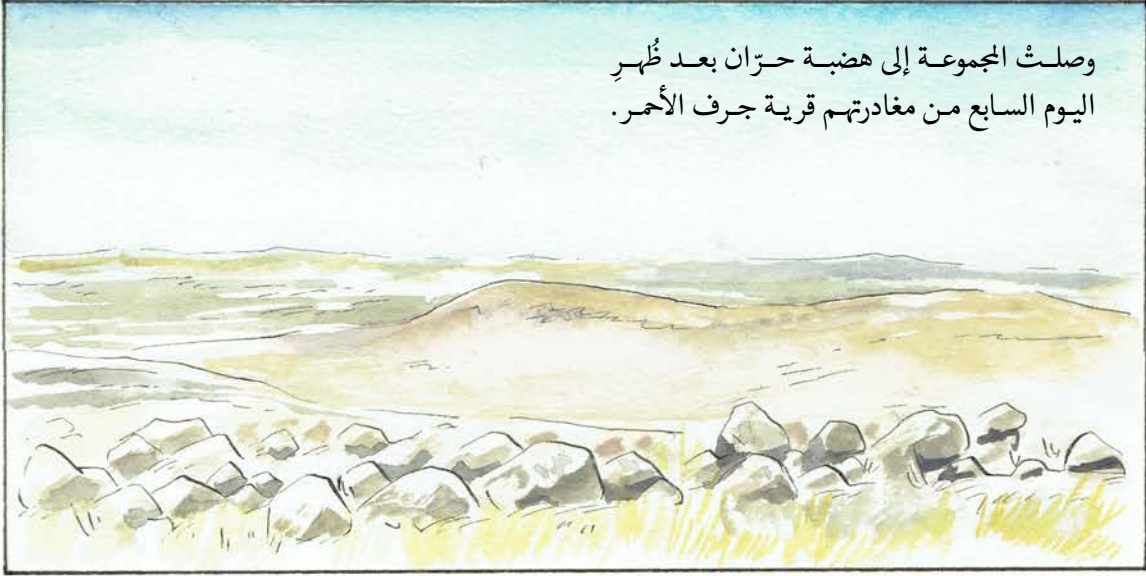
آشي

قاموا بتنظيف اللحم بشكل جيد، وأكل الأشخاص
الثلاثون الخروف كاملاً من رأسه حتى قدميه.

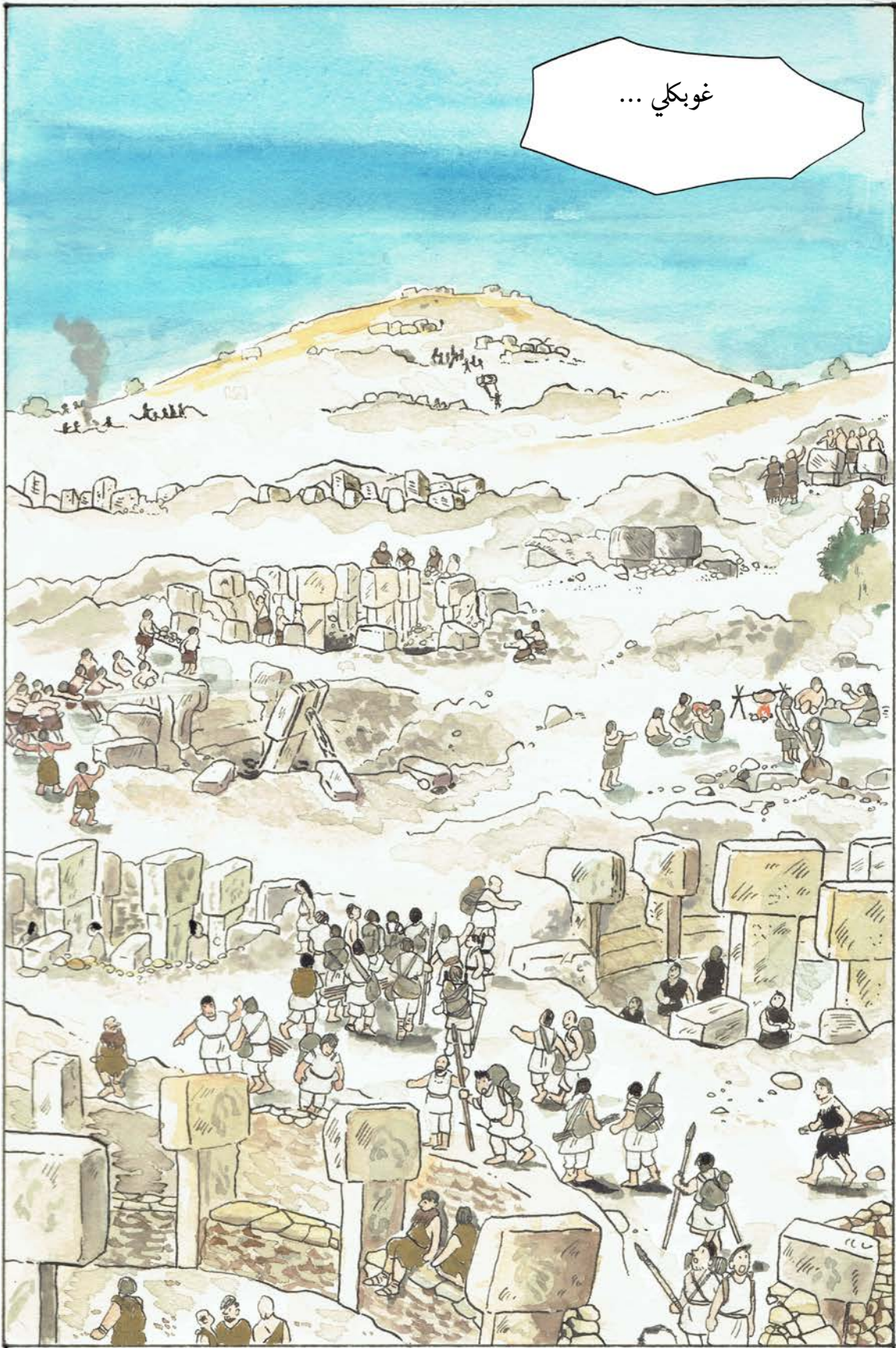
وأعطوا مقل العيون والدماغ إلى باجي
الذي اصطاد الخروف بسهم واحد.



إذا صادفنا ثانيةً قطعاً من الخراف في
طريق عودتنا، عندها نسطادُ خروفاً،
ونُقَدُّ لحمه، ونأخذُه معنا إلى القرية.



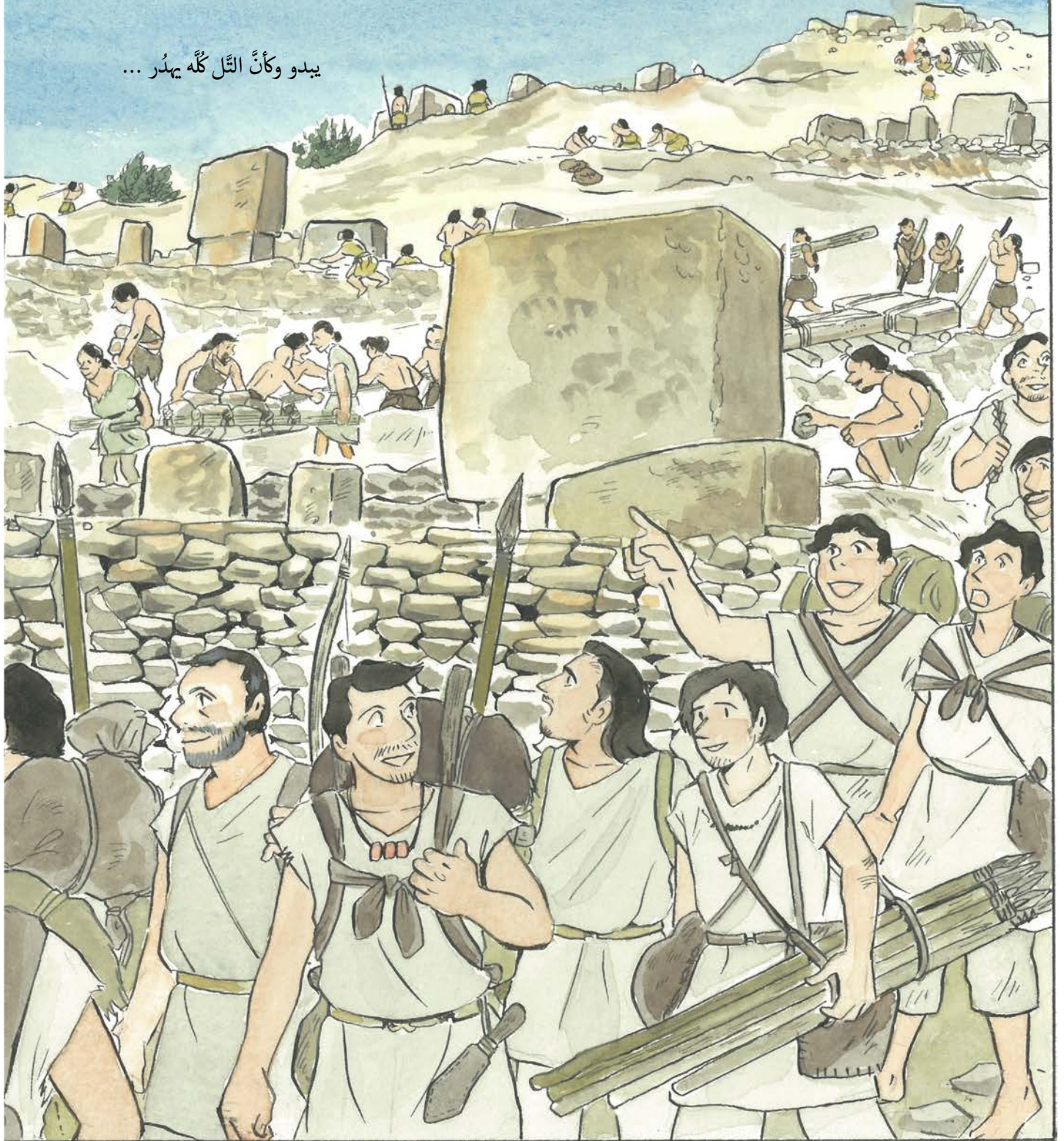
غوبكي ...

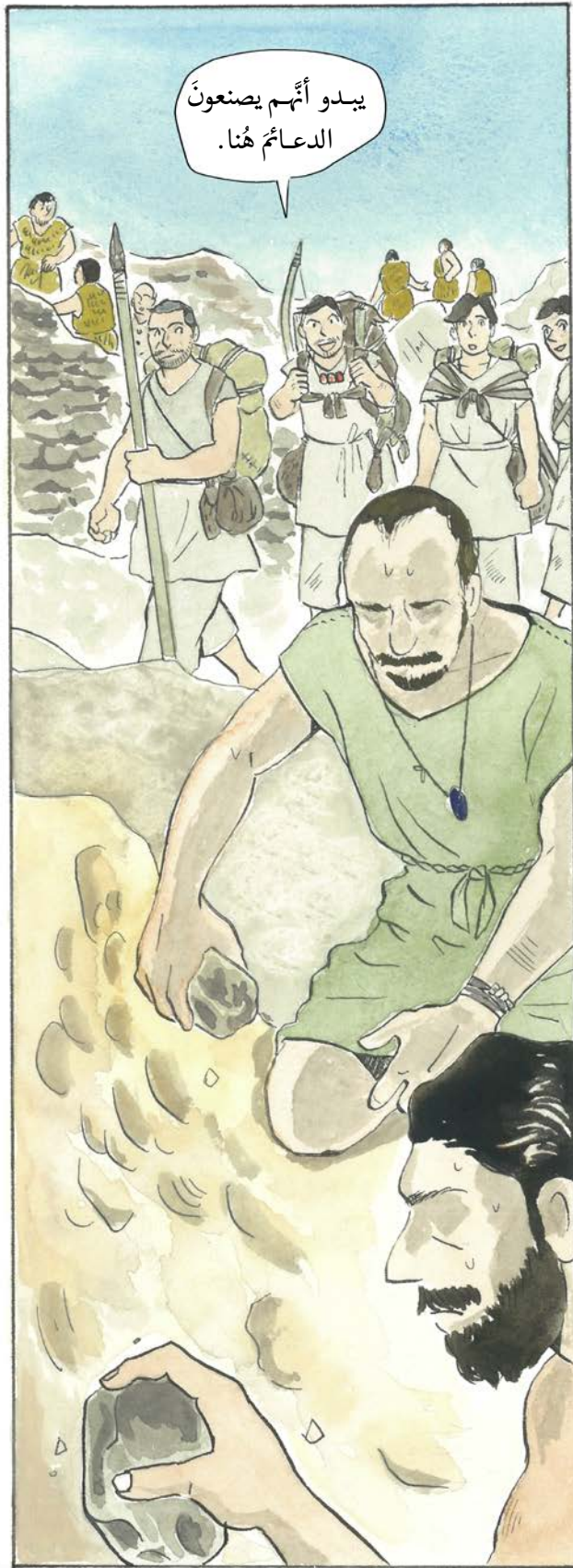


يضجُّ التل بحماس جموع من الناس
يحاولون نصب الدعائم.

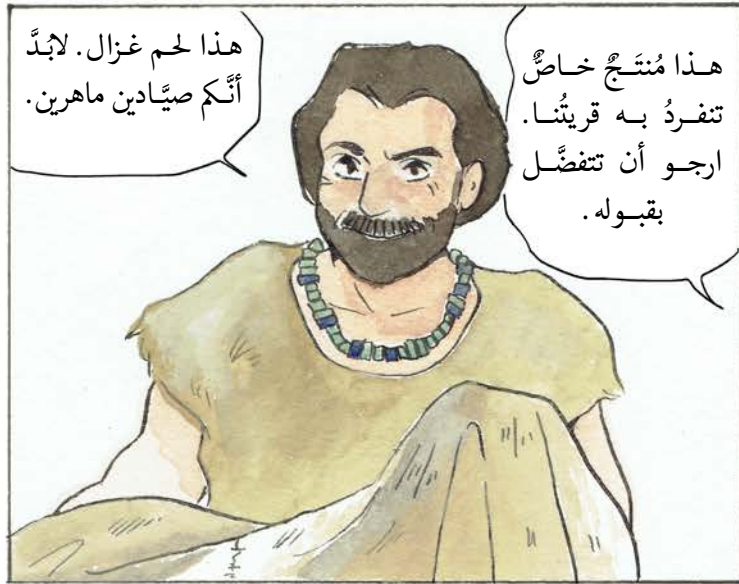
هذا رائع ...

يبدو وكأنَّ التل كُله يهْدُر ...



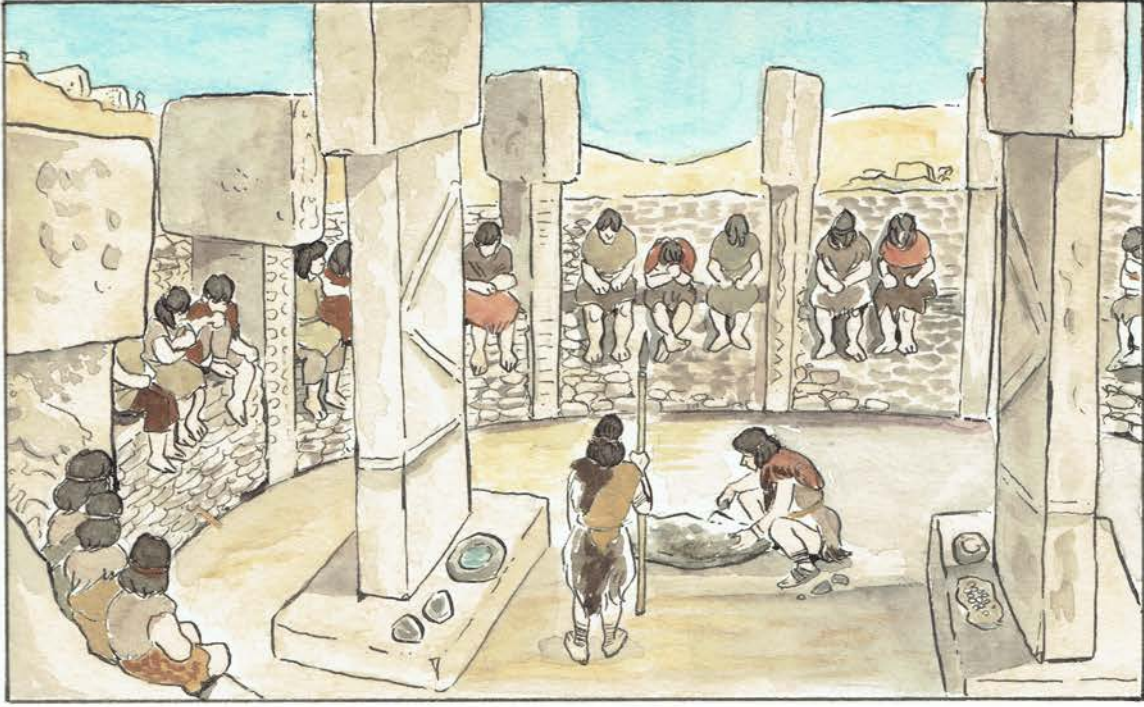










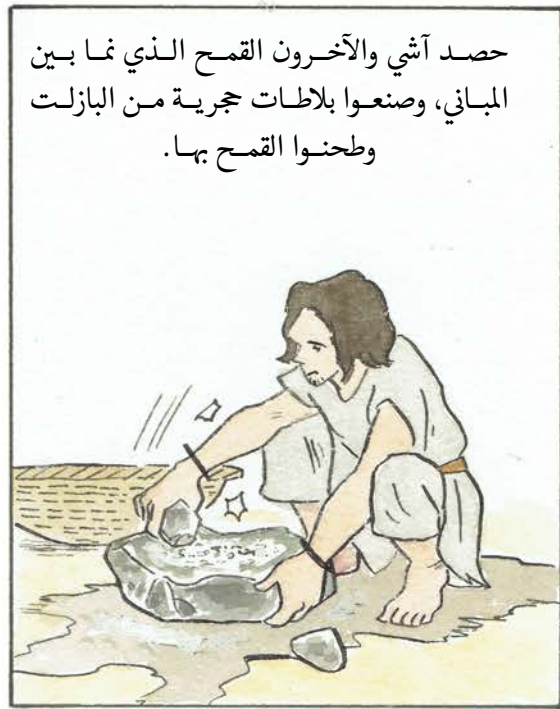




٥-٢ صنع الخبز يُفاجئ الناس (نظام المقايضة)









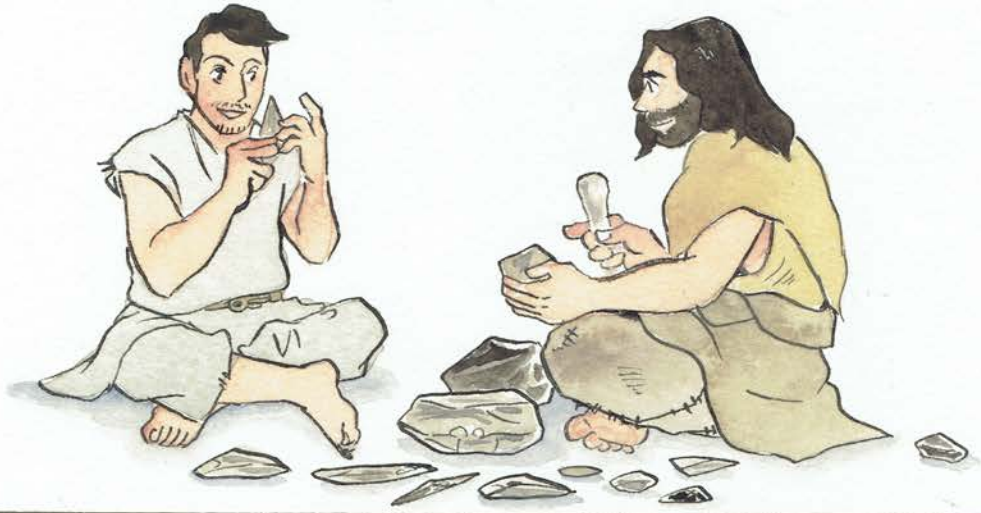




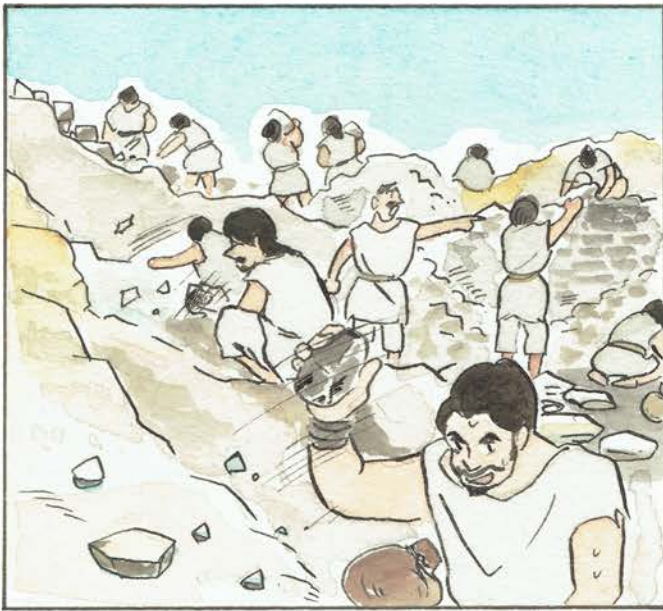
في تلك المرحلة، حدثت الكثير من عمليات المايضة والتبادل في مختلف المجالات بين القرويين الذين قَدِموا من مناطق مختلفة وتجمَّعوا في غوبكلي.

واو! إنَّها أداة حجرية رائعة الشكل لم أرى مثلاً من قبل.

سأعلمك كيفية صنع هذه الأداة الحجرية امتناناً لتعليمنا طريقة صنع الخبز.

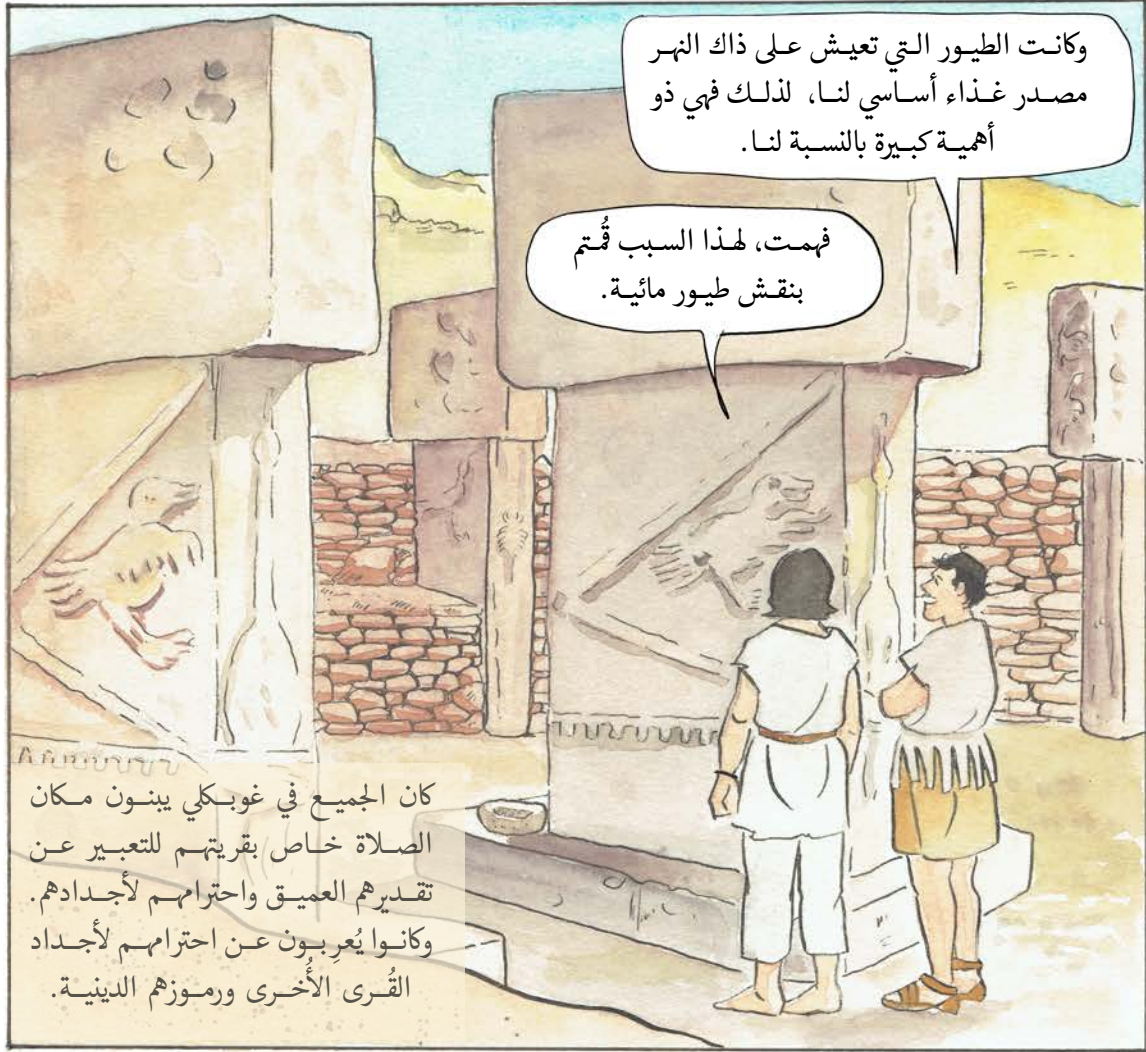


هيتا بنا...
لنبدل قُصاري جهدنا.

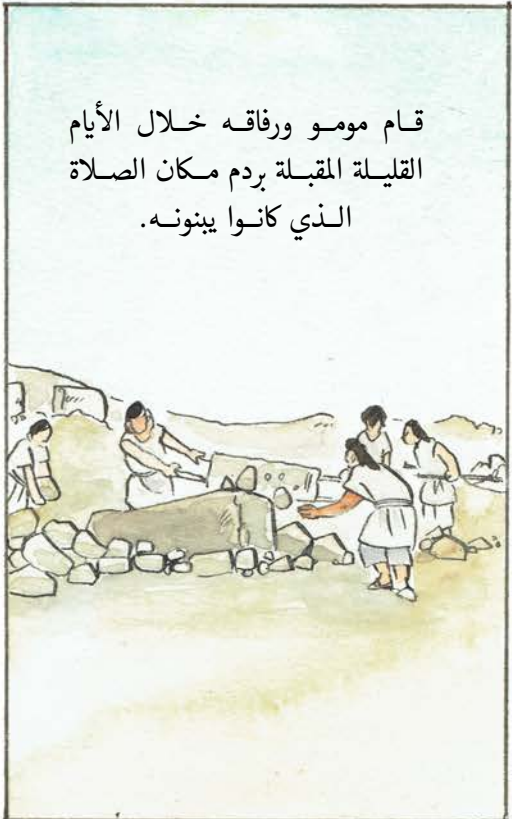




هذا صحيح، لذلك نقشنا صورة أحد أجدادنا القدماء مُمسكاً بغزال على إحدى الدعائم.









٦-٢ العودة إلى قرية جرف الأحمر والبدء بإنتاج الغذاء





هل هو لذيذ بهذا
القدر ليجعلك تبكي؟

ياللروعة، إنَّ طعام
القرية هو الأفضل
على الإطلاق.



ما هذا!؟

انظري إلى هذا.

زوجة آشي

آشي



لقد بنينا دعامة حجرية
ضخمة بهذا الحجم.

يبلغ ارتفاعها
ضعف طولي.

إنها كذبة! من غير
المعقول بناء دعامة
كبيرة بهذا الحجم!

نوجي

حقاً، أئها ليست كذبة.



قمح...؟
لكئته مختلف قليلاً عن القمح
الموجود بالقرب قريتنا.

هذا صحيح!
هذا القمح لذيذ المذاق
عندما يُصنع منه الخبز.



هذا صحيح. قد تتمكن من
الحصول على الكثير من حبوب
القمح في أوائل الصيف المُقبل
عندما تنمو السنابل.

إذاً، لما لا نبذر البذار في
الأراضي المحيطة بالقرية
وننتظر؟

ولكن هذه الكمية
لا تكفي جميع من في
القرية.

أريد أن أتذوق
طعمه.









حتى ذلك الحين، كانت الشفرات الحجرية تُستخرج من خلال طرق طرف واحد فقط من الحجر الأصلي الذي يُستخدم لصنع الحرابة.

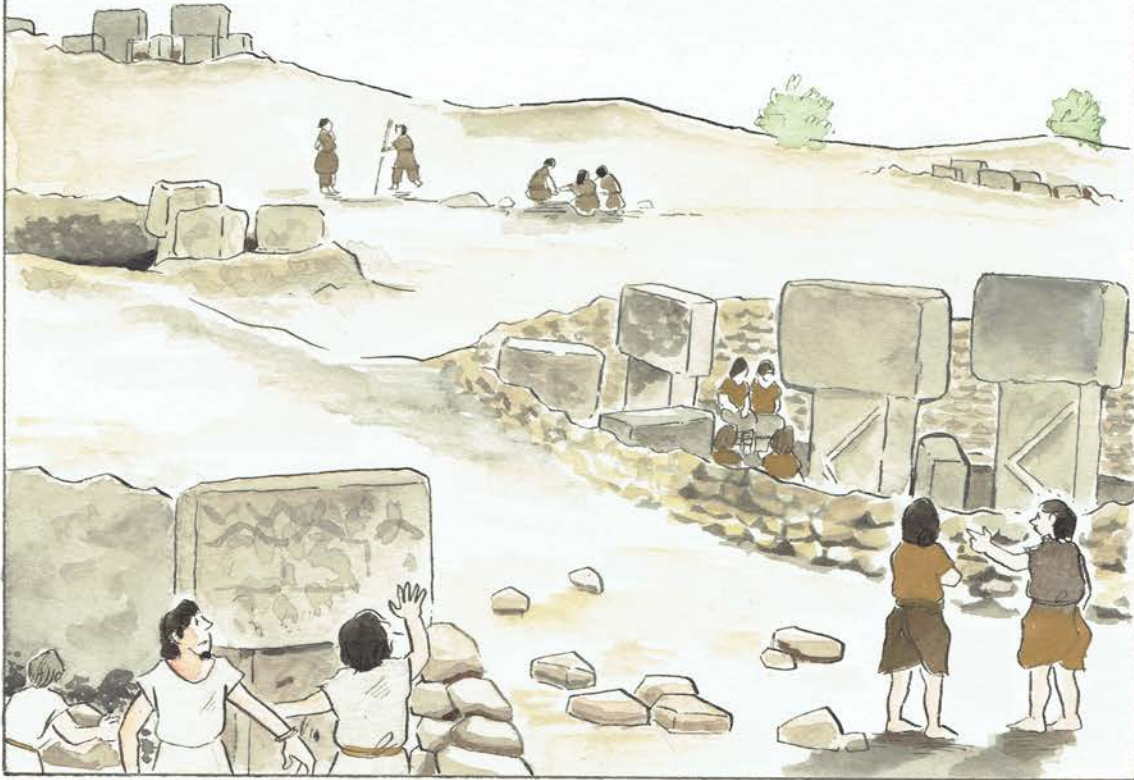
ولكن من خلال طرق كلا طرفي الحجر بالتناوب، أمكن الحصول على حرايب أكثر استقامة وأكثر جِدَّة.



من ناحية أخرى، عمل باجي وكاجي بجِد على إتقان تقنيات تصنيع الحرايب الحجرية التي تعلموها في غوبيكلي. وقاموا بتطوير الحرايب الحجرية لتلائم صيد الغزلان والثيران البرية.



وحتى قرابة مائة عام، واظب الرجال في قريتي جرف الأحمر والمريبط على زيارة غوبيكلي دون انقطاع لعدة أشهر من كل سنة تمتد من أوائل الصيف إلى أواخر الخريف.



خلال تلك الفترة، كان السكّان الذين بقوا في القرية يحصلون على الأخبار والمعلومات والسلع من العالم الخارجي، ويستخروها لتلبية مُتطلّبات حياتهم.



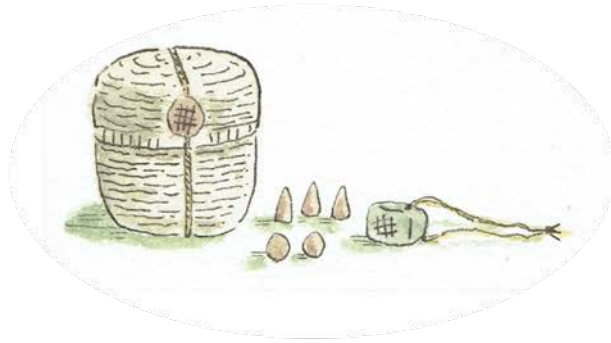
بعد مئات السنين، سجد بأن قُرى منطقة الفرات قد لعبت دوراً رائداً في نشوء مجتمعات جديدة أسهمت بشكل بارز في تطوّر المجتمعات في العصور القادمة.

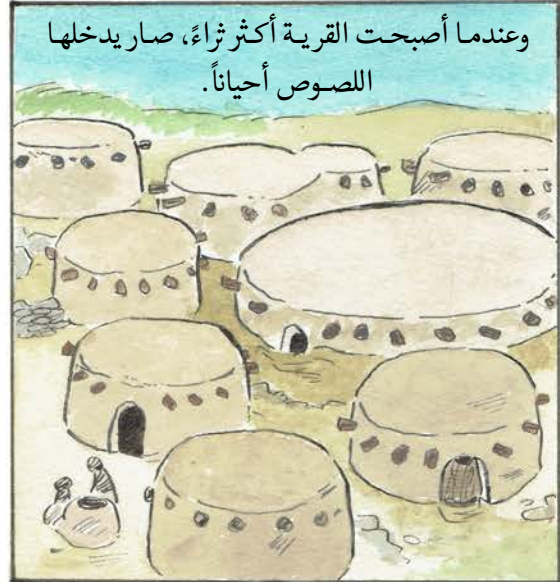
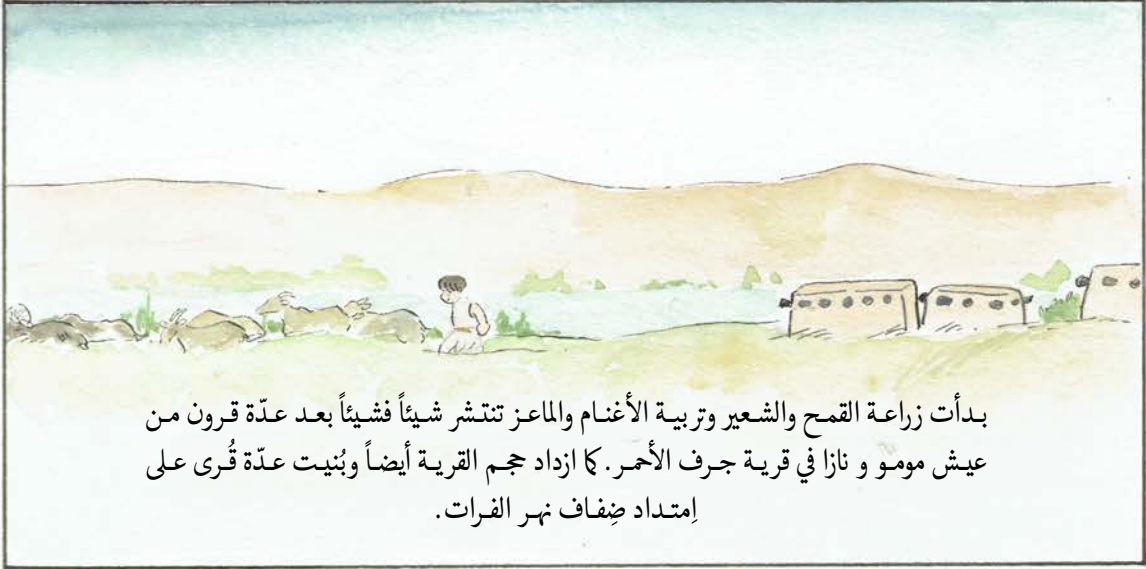
ولن يقتصر التطوّر في المجتمعات على جمع واستهلاك الطعام البرّي كما في الفترات السابقة، بل سيفتح الباب أمام مجتمعاتٍ مُنتجةٍ للطعام تُعتمدُ في المقام الأوّل على الزراعة واستئناس الحيوان.

ولكن بالطبع، لن يتسوّى لمومو ونازا وأصدقاؤهم معرفة الدّور الذي أسهموا به في تطوّر المجتمعات. إلا أن علم الآثار يُبيّن بوضوح الإسهامات التي قدموها هم وأحفادهم للحضارة للإنسانية.



الفصل الثالث تطور القرى



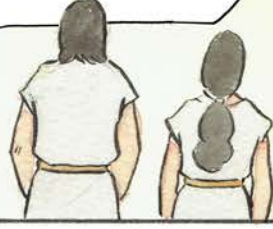




ساما هو أحد الأحفاد المنحدرين من الجيل السادس لنسل مومو.

كان ساما وزوجته روج يُفكِّرون منذ وقت طويل بطريقة ما لإنقاذ القرويين من موجة الجفاف التي تتعرَّض لها المنطقة، وكانا يفكِّران بهجرة القرية كأفضل سبيل للنجاة.

حسناً إذاً، سأطلب من كبار القرية أن يجتمعوا الليلة.



ماذا تقول؟!



هذا مستحيل!

إلى أين سنذهب؟

هذا غير ممكن!

ولكن....

نهجر القرية ونبحث عن أرض جديدة؟!

أمي تُعاني من مرض في قدميها ولا يمكنها التَّنَقُّل.



مممم...

كاتا

يا سيد كاتا، ما رأيك في هذه الموضوع؟

يا سيد كاتا!





بعد أداء الصلاة، سيقومون بدم المعبد العام
المُخصَّص لتقديس أرواح الأجداد في القرية.



وفي أوائل فصل الصيف، توجّه الرجال إلى المعبد
في غوبكلي لأداء صلاة أخيرة قبل الرحيل. من
المُفترض أن تستغرق رحلتهم حوالي شهر.



حسناً، لقد حان موعد المغادرة، لنُصلي صلاتنا
الأخيرة لأجل القرية ونهر الفرات قبل اللّحاق بساما.

وفي أواخر فصل الخريف



وأنا سأفتقدكم أيضاً،
اعتنوا بأنفسكم وآمل أن
نلتقي مجدداً يوماً ما!



سكان قرية المريط:
اعتنِ بنفسك يا ساما. سوف نفتقدك أيها
الصديق القديم.

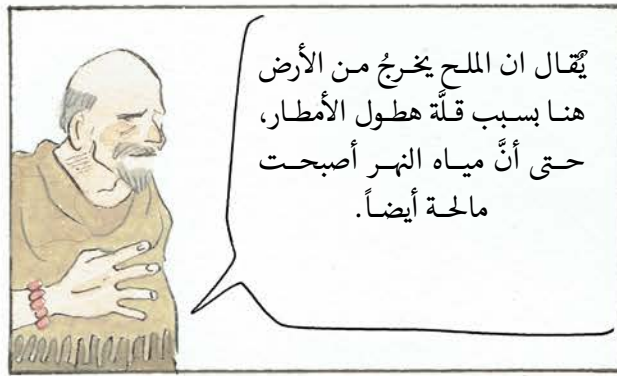
ونحن أيضاً سنُغادر قرية المريط قريباً.

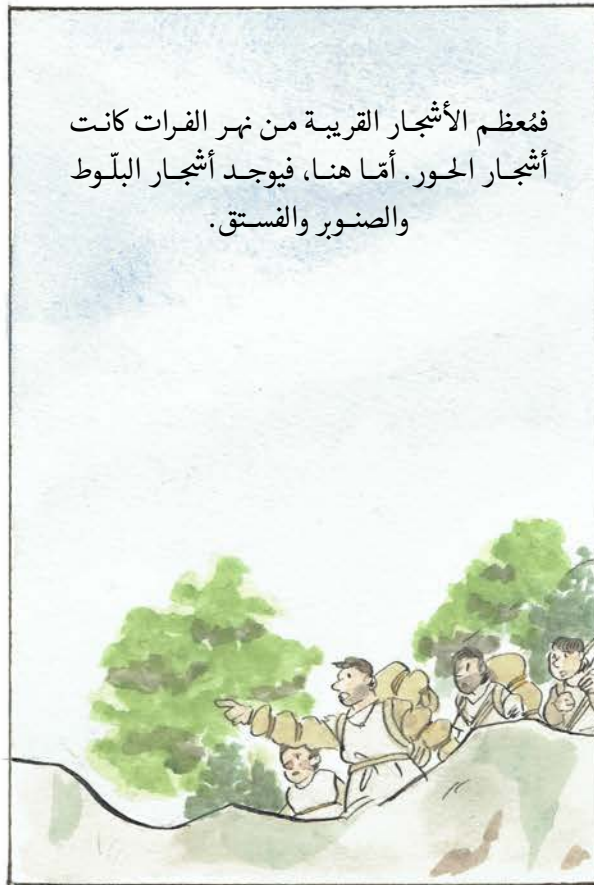
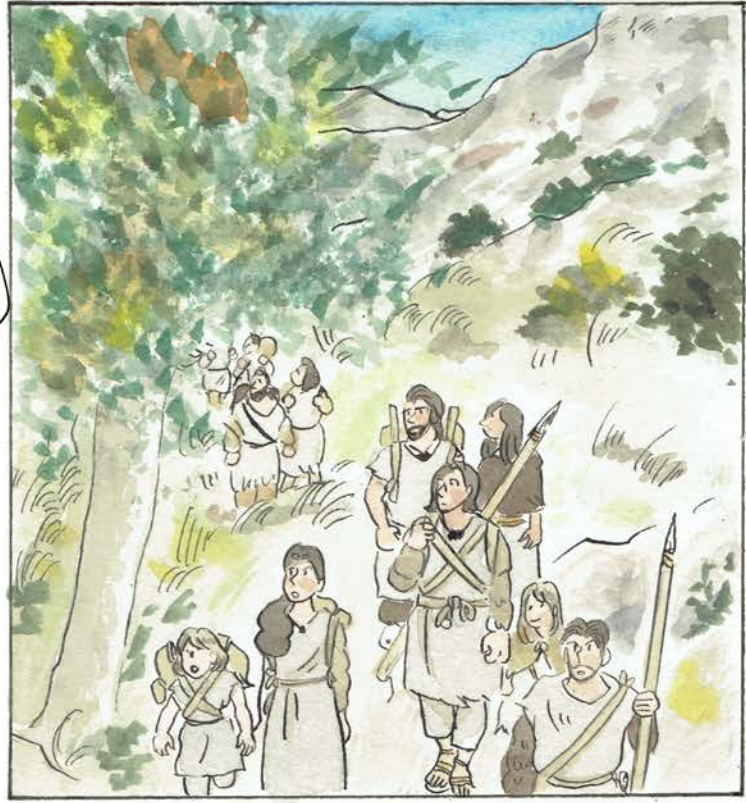


وهكذا، ودّع سكان جرف الأحمر قريتهم على ضفاف الفرات وغادروا باتجاه منطقة نهر العاصي الخصبية. استمر الناس في السير في جوٍّ من التعب والإحباط، وكانوا يتقاسمون كمّيّات قليلة من الماء والطعام.







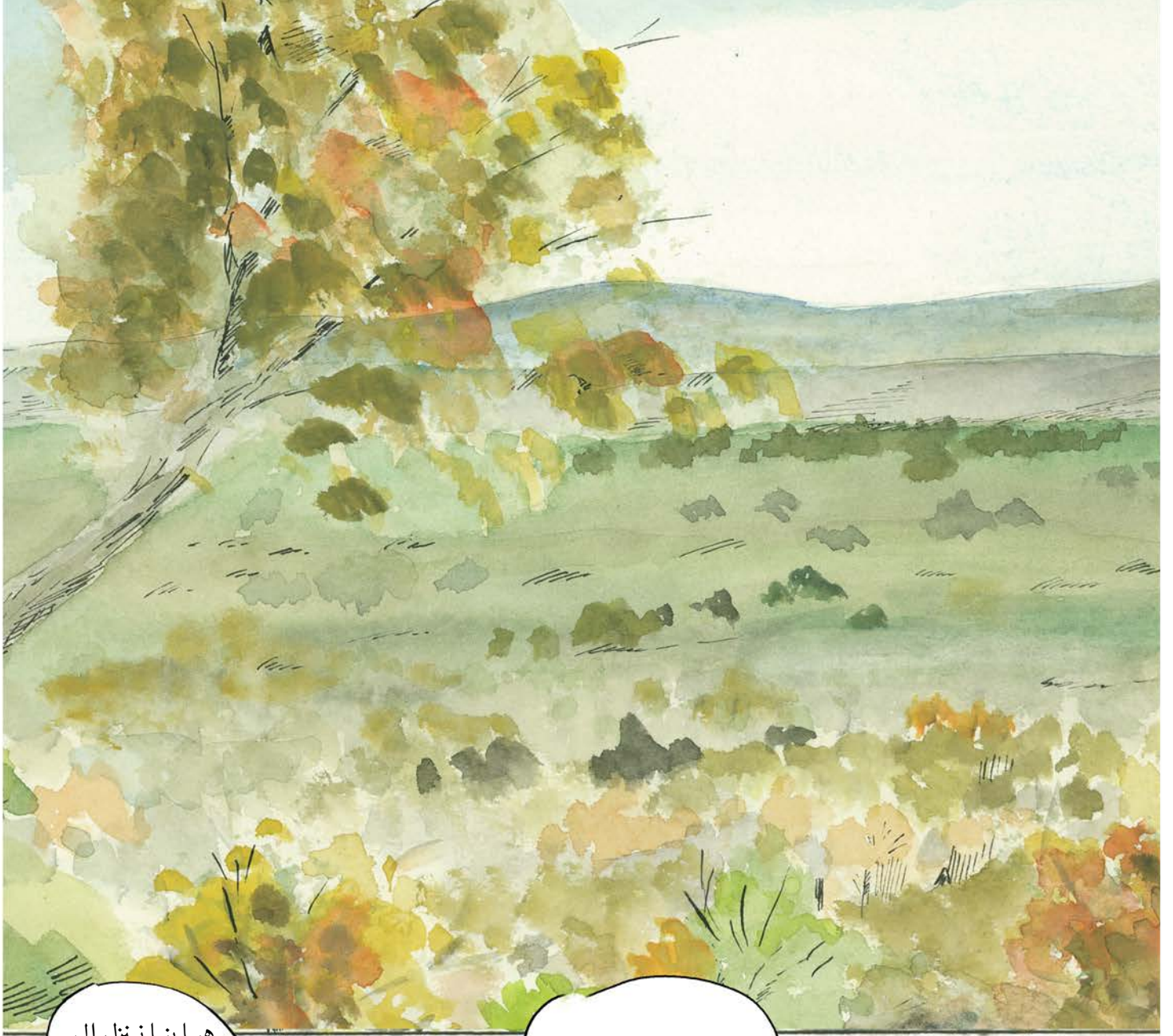




وفجأة...
صرخ الجميع:
ياااا!



ما هذه الأرض السوداء الداكنة!



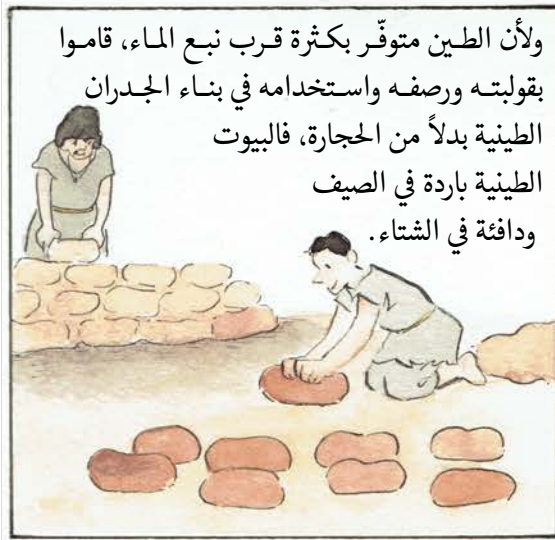
هيا بنا نزل إلى
الأسفل ونتأكد!

هناك بحيرة.















يا ساما. أليس من الرائع أن تكون المنطقة المحيطة بهذه القرية عبارة عن حقل قمح؟

ربّما!



ولكن، أليس هذا مستحيلاً؟

إن النباتات والأعشاب كثيفة.

حتى إن زرنا البذور هنا، فن المؤكّد أن النباتات الأخرى ستُغطّيها بالكامل.



ليس مطلوبٌ منك أن تفعل شيئاً.

سأقوم بذلك بنفسي.



من الصعب الاعتناء بالزرع منذ بذر البذار حتى الحصاد.

دعينا ننسى الأمر، فلن نجوع إن حافظنا على أسلوب حياتنا القديم المُعتمد على الصيد والتقاط الثمار.



لذلك دعنا نُزيل العشب. ولنجعل القمح والبقوليات تمتصّ خصوبة التربة السوداء.

ومع ذلك، انتشرت فكرة روج يوماً بعد يوم، وعرض المزيد من الناس مساعدتهم.

يبدو الأمر مثيراً للاهتمام.

هل هناك ما يمكنني المساعدة به؟

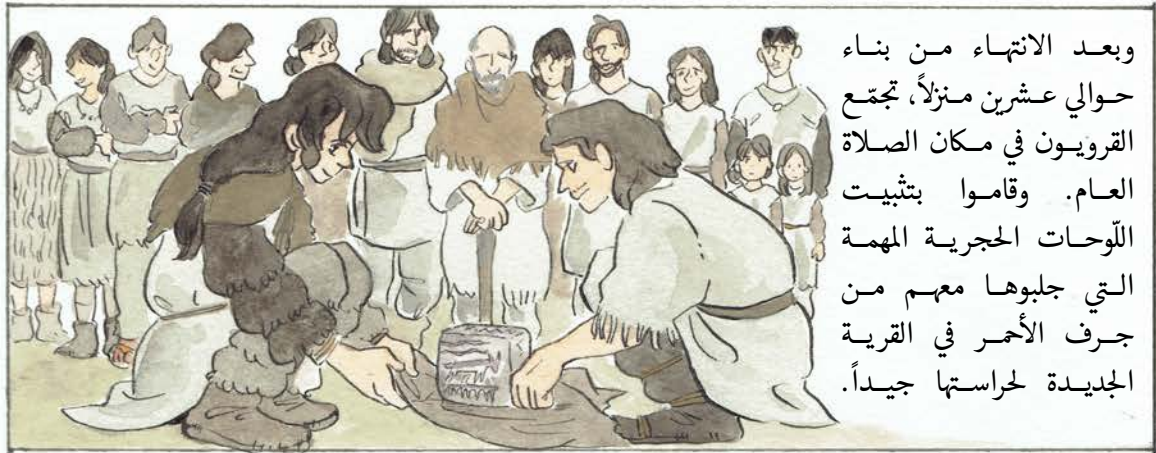


وهكذا، تم استصلاح الأرض في محيط القرية، وُزرعت بذور القمح والبقوليات التي جلبتها روج والآخرين من منطقة الفرات.











لقد وقرت العوامل الضرورية الموجودة في سهل الروج من تربة عضوية وماء بيئة مناسبة لزراعة القمح الذي أحضره معهم من منطقة الفرات. وقد أنتجت البذور التي زرعوها غلالاً وفيرة.



الأمر الأكثر روعة هو قيام روج بزراعة الحمص الذي أحضرته من الفرات، والعدس والقمح الذي وجدوه في سهل الروج.



يمتص القمح الكثير من العناصر الغذائية من التربة أثناء نموه، وتصبح الأرض فقيرة عند زراعتها بنفس المحصول مراراً وتكراراً، ويؤدي ذلك بدوره إلى فقر التربة وانخفاض كمية المحصول.



ولكن زراعة البقوليات ونموها تُنتج الكثير من النيتروجين في التربة. بالتالي، يُغني النيتروجين بدوره الأرض لأنه من المغذيات المهمة للتربة.





هل تقبلونا بينكم؟

لقد أتينا من الشرق عند سماعنا
الشائعات عن سهل الروج.

وبعد ذلك، انتقل بعض
الناس الذين أرادوا زراعة
القمح الخاص بهم للعيش
في السهل.



لا، لا... إن هذا
الكلام مُبالغ فيه!

لقد سمعنا بأنك أنت
من بدأ زراعة القمح.
ولطالما أردنا مقابلتك.

نحن سعداء
بلقاءك.

جميع من في قريتنا
يطلقون على هذا المكان
اسم سهل الروج.

هكذا إذاً، أصبح
يُدعى «سهل الروج».
هذا اسمي!



هذا رائع
يا أمي.

لذا، لنطلق نحن أيضاً على
منطقتنا اسم «سهل الروج».

روج، إنه اسم جيد. في الواقع،
لو لم تبدأي بممارسة الزراعة، لما
كانت قريتنا غنية.



مكان جميل...؟

سأصطحبكم إلى
مكان جميل في
المرّة القادمة.

شكراً جزيلاً لكم.

إذاً، سنمنحك الأرض التي
تقع خلفنا، يُمكنكم بناء
منازلكم هناك.



نهر العاصي نهر صغير، لكنّه لا يَجفّ طوال العام لأن الكثير من المياه تتدفّق إلى مجرى النهر من الجبال الكلسية المحيطة بسهل الروج.

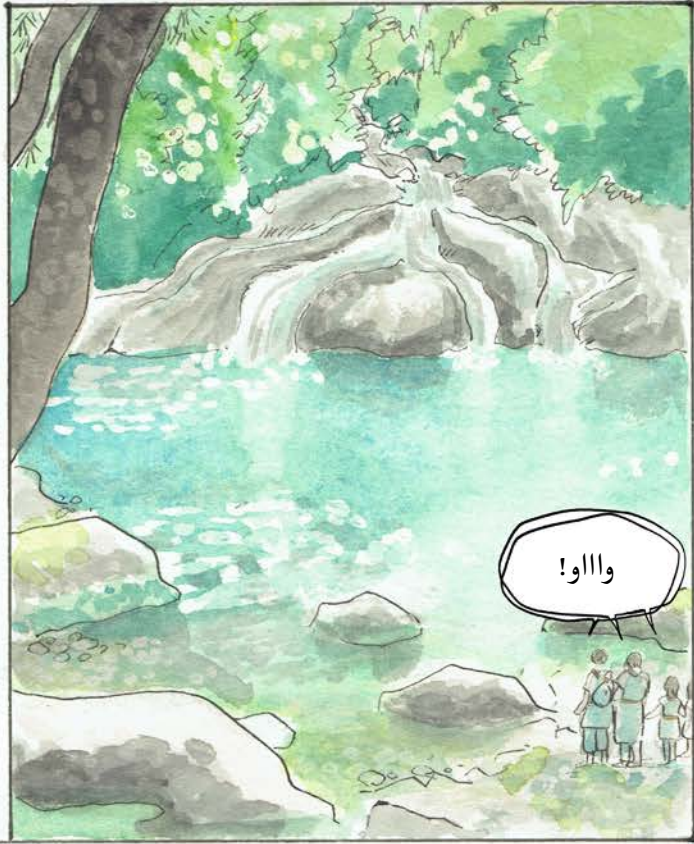
أدرك قرويّو الكرخ عند وصولهم إلى القرية أنّ نهر العاصي الذي يتدفّق قُرب القرية من جهة الغرب هو ما كان السّيد كاتا يتحدث عنه.



في ذلك اليوم وصل ساما وعائلته إلى أحد عيون العاصي، وهي «عين الزّرقا».

لنمشي إذّا بمحاذاة هذا النّهر.

نحن أيضاً لم نذهب أبعد من هنا.



٤-٣ الوصول إلى أرض الماء





ها قد بدأنا نفس
القصة مرة ثانية
...

يتحدّثُ حَيوي
عن «أرض الماء»
بشكل يومي هذه
الأيام.



يوجد وراء الجبل المطّل على
سهل الروج وإدّ آخر من
جانب نهر العاصي يمتدّ من
الشمال إلى الجنوب.

تنتصبُ وراء ذلك الوادي
سلسلة من الجبال العالية
التي تُغطّيها الثلوج في
فصل الشتاء.

ويقال إن أرض الماء
تقع إلى الغرب من
سلسلة الجبال تلك
...



أقنعيه بنفسك يا
أمي فأنا لا أستطيع
التفاهم معه.

لذا لا تدعه يذهب إلى
«أرض الماء» يا داديا.

لقد أصيبت ساقه
في فصل الشتاء



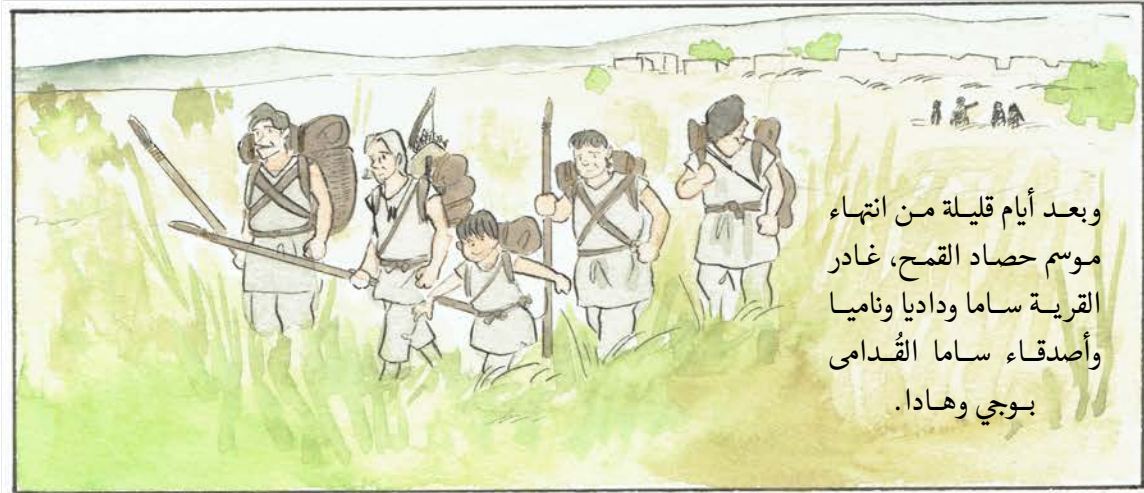
وبعد ذلك ...
ماذا حصل؟

ولكّتي أقول له ذلك
كلّ يوم!

وأنا أيضاً!









وأشجار الأرز اللبنانية الضخمة تنتصب
وتصطف بالقرب من القمة.

إنها شجرة ضخمة ...

رائحة زكية.

سنُحيم
اليوم هنا.



ليس بعد.

ناميا،
ألم تشفق للمنزل؟



سوف نهبط عن
الجبل غداً.
كم من الوقت سيستغرق
ذلك يا ثري؟



هاهاها!
أنت طفل قوي!







حسناً، دعونا نسير بمحاذاة
النهر باتجاه المصبّ.

لا بدّ أنّ هذا النهر يقود
إلى أرض الماء!

يبدو أنّ مياه التّهر
تتدفّق باتجاه الغرب.



جدّي، هذا ...
ربما ...!

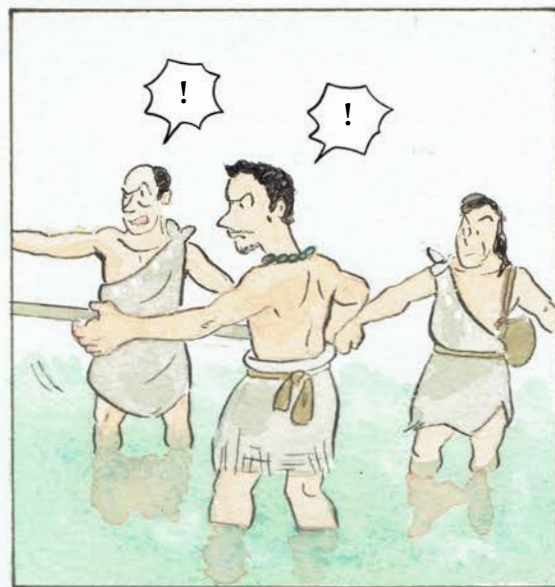


واصل ساما ورفاقه المشي
على طول مجرى النهر لمُدّة
أربعة أيّام.













في اليوم التالي، زار ساما ورفاقه
القرية الساحلية وأحضروا معهم
الخبز الذي صنعوه.



هذا خبز صنعناه
من قمح قريتنا.
إنه هدية منّا لكم،
تفضلوا تذوقوه.



نعتذر لأخافتكم بالأمس. نحن
مُسافرون قادمون من الشرق.

لقد حاولنا أن نتكلم
معكم أمس لأننا
أردنا أن نخبرونا عن
هذه المنطقة.



نعم، إنَّها قرية
جميلة مُحاطة بالتربة
السوداء والغابات
الغنيَّة.



لابدَّ أن قريتك غنية جداً
ليتوفَّر فيها مثل هذا
الطعام اللذيذ.



يम्म... إنَّه لذيذ
المذاق وطيب الرائحة

أنتم تأكلون أشياء
لذيذة في قريتك!

بدأ القرويون تدريجياً يتقبلون ساما ومجموعته
بفضل الخبز الذي أهده لهم.

سأل ساما ورفاقه القرويين العديد من الأسئلة حول
أرض الماء والحياة في القرية، في المقابل استمع القرويون
بحماس أيضاً إلى قصص سهل الروح، وانتقال القرية،
وقصص صيد الغزلان في منطقة الفرات.



إذاً، أنتم تُطلقون على «أرض الماء»
اسم «البحر الأبيض المتوسط».

إنه شيءٌ لذيذ لم يسبق لي أن
تذوّقت مثله.



الذّ طعام لدينا هو الأسماك والمخار التي
يمكننا اصطيادها من البحر الأبيض
المتوسط.

بلى يوجد، ولكنّها ليست
كبيرة كالتي عنديكم.

عوضاً عن السمك،
لدينا الماعز والأغنام.

ألا توجد أسماك
في قريّتكم؟





أرض الماء ... البحر الأبيض
والجبال من خلفه جميعها آية
من الجمال الذي لم أتخيل
وجوده في هذا العالم.



لقد أذهلتني
هذه القرية.



بالقرب من الجبل، ستجد الكثير من
هذه الأحجار الخضراء والتي نستخدمها
في صنع أدواتنا.

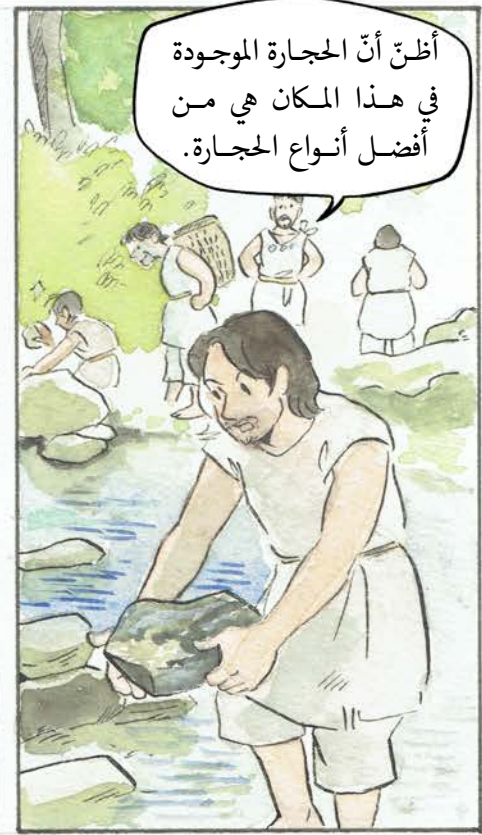
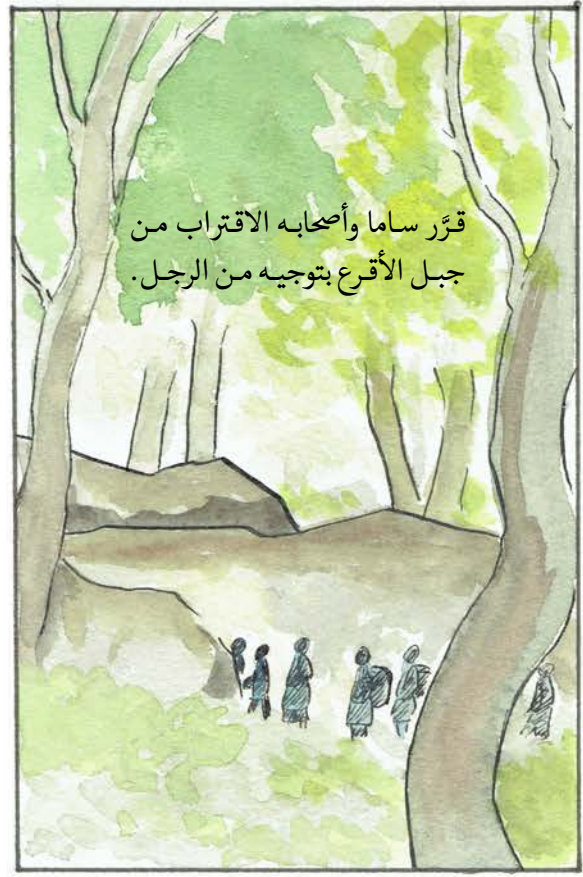


هذا جبل الأقرع، إنه
ليس جبل جميل فحسب،
بل جبل مُبارك أيضاً.



سأقوم بإرشادك إلى المكان غداً لأنك
أخبرتنا بقصة مثيرة. من الأفضل أن
تأخذ معك بعضاً من الحجارة الخضراء
إلى قريتك.

شكراً جزيلاً لك.



قرّر ساما وأصحابه تعبئة سلة من الحجر
الأخضر وأخذها معهم إلى قريتهم.



أوه، إنه حقاً
منظرٌ جميل!
ماذا ستقول روح
لو رأته؟

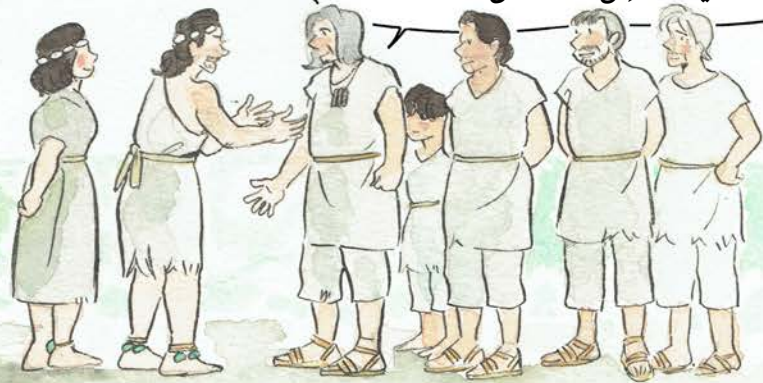


أنا سعيد حقاً
لأنكم أحببتم قريتنا.



تفضلوا بزيارة قرية الكرخ يوماً ما فهي قرية
جميلة لا تقلّ جمالاً عن هذا المكان.

نعم بالتأكيد،
سأذهب مع أصدقائي
لزيارتها يوماً ما.





٥-٣ نهاية حياة ساما

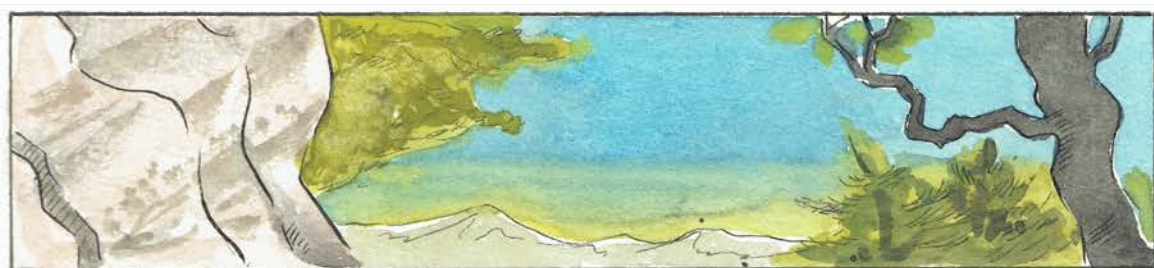




















هكذا إذا ...
لو لم أصّر على
اصطحاب ذلك
الحيوان معي لما ...



حسناً،
ماذا علينا أن نفعل الآن؟

أريد إعادته
معنا إلى القرية ...



قام الرجال الأربعة بتنظيف جثة ساما
ولفوها بحصيرة ونقلوها إلى المَخيّم.



داديا ...
هذا صحيح، ولكن ...

بالطبع علينا أن نُعيده إلى
موطنه! أبي رجل عظيم قام
ببناء القرية.

كان الجميع في حيرة حول طريقة تأبين ساما.



عند موت أحد ما في القرية، كان يتم دفن الجثة تحت أرضية أو في فناء المنزل بعد أداء مراسم الدفن والطقوس الجنائزية.



بعد عدة أشهر أو سنوات من الدفن، يُفتح القبر مُجدداً، ويتم واسترجاع الجثة من القبر بعد تحويلها إلى هيكل العظمي، ويتم تأدية طقوس جنائزية، ويُعاد دفن بقايا الهيكل العظمي مرة أخرى.

وكان يُعتقد أنّ بقايا العظام الموجودة في القبر تدلّ على اجتياز الميت إلى عالم الموت بسلام. وإن لم يجدوا بقايا عظام فذلك يدلّ على أنّ روح الميت ليست بسلام.

أنا أفهم ذلك. لا أستطيع أخذ الجثة إلى المنزل كما هي.

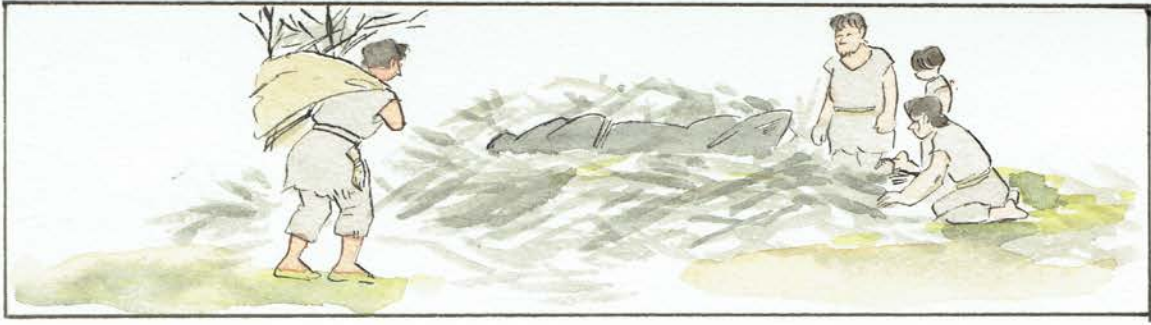
دعونا نحرق الجثة ونُعيد بقايا رفاتهِ إلى القرية. هيا بنا نجمع الحطب ونشعل النار.



إنّه والدك يا داديا، وعليك أن تُقرّر ما سنفعله.

يجب علينا إعادة رفات ساما إلى القرية. لكن الأمر سيستغرق أربعة أو خمسة أيام من هنا إلى القرية.







عندما رجعوا إلى قرية الكرخ وهم يحملون رفاتة، خيم الحزن على سهل الروج، فقد كان الخبر مؤلماً، وكان حزن القرويين عميقاً.



بعد أداء طقوس جنازية تليق بساما، دُفنت بقايا رفاتة في فناء المنزل الجميل.





بعد مئات السنين من تأسيس ساما وأصحابه قرية الكرخ، أي قبل حوالي ٩ آلاف سنة، أصبحت القرية أكبر مستوطنة بشرية في سورية. وكان يعيش فيها أكثر من ٢٠٠٠ شخص، لذا يمكن القول أنها كانت بلدة وليست قرية.



لم يمارسوا الزراعة والرعي فقط، بل عملوا في مهن مختلفة مثل بناء المنازل وخياطة الملابس

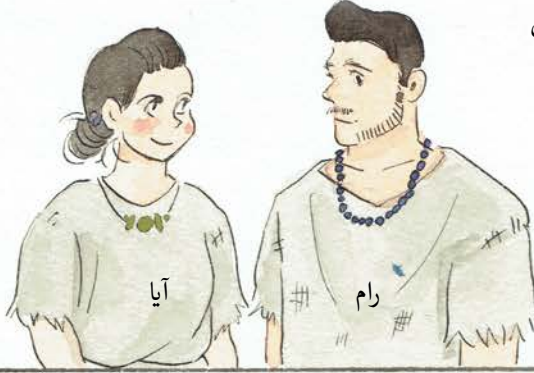


وصنع الأدوات الزراعية والشفرات وأدوات الطحن الحجرية، وقاموا بحمل واحضار الأحجار والأخشاب من مسافات بعيدة... كما ظهرت عدد من المهن الأخرى المختلفة.

وقد أصبحت الزراعة والحياة الرعوية بالنسبة لسكان بلدة الكرخ من أهم سبل العيش.



عاش رام وزوجته آيا، وهما من سلالة نسل
ساما و روج، في سهل الروج.



رام شخص ماهر في تصنيع وتشكيل
الأحجار. كان يُلبّي طلبات أهل البلدة
ويصنع لهم الأدوات الحجرية والخرز
المصنوع من الحجر، يُقايسها بالقمح
وغيرها من المحاصيل الزراعية.



كانت آيا وحماها تصنعان الجرار الطينية التي كانت
تُستخدم في ذلك العصر لتخزين المحاصيل الوفيرة.





قامت آيا وصديقاتها بخلط مواد مختلفة مع الصلصال المُعدّ لصناعة الفخار، كما قاموا بتغيير طريقة تجفيف الأوعية، وجزبوها واختبروها. ولكنهم لم ينجحوا في صنع أوعية أكثر قوة ومتانة.



هل سيكون هذا
الحل مُجدياً يا ثري؟



آيا، إن الأواني الطينية ستنتفخ وتتكسر بطبيعة الحال بمجرد تعرضها للبلل. ومهما أضفنا مكونات جديدة للصلصال وغيرنا طريقة تجفيف الطين فالنتيجة ذاتها. ولا حل إمامنا إلا إعادة إصلاحها وصنعها مرّة ثانية.



هذه هي!!



وجدتها!



لم تستسلم آيا. وكانت تفكر طوال الوقت إن كان هناك طريقة أفضل.



في يوم من الأيام، كانت آيا تقوم بخبز الخبز بالثتور.



نعم، إنّه يتصلّب بفعل النار.



إن السطح الداخلي للتّور والمصنوع من الطين يتصلّب أثناء استخدامه.



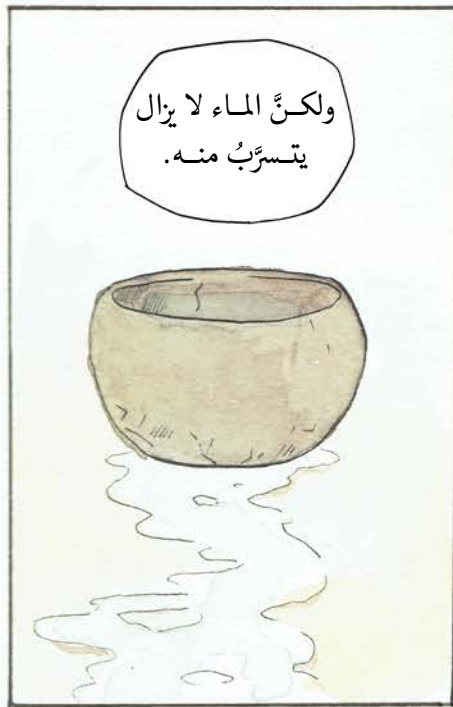
هذا ... هذا يذكرني بـ ...
حتى الجص (الكلس) يجب حرقه قبل استخدامه.

كما هو الحال في العصور الحديثة، كانت الجدران وأرضيات المنازل مغطاة في تلك الفترة مغطاة بالجصّ، كما صنعت الأواني الجصّية.

في تلك الفترة كانت تقنيّة صناعة الجصّ المطقاً قد تطوّرت في العصور السابقة.



فكّرت آيا أن استخدام النار يُمكن أن يُحوّل الطين إلى مادة صلبة ومتمينة.





ولأن الماء يُمكن وضعه فيه، فالأواني الفخارية كانت بمثابة بديل عن الحقائب الجلدية ...



وإذا وُضع الوعاء الفخاري على النار، فيمكن الحصول على الماء الساخن!

والاو!



إنّ استخدام الأواني الفخاريّة للتسخين أسهل من وضع الحصى الساخنة للحصول على ماء ساخن.



كان يتم تسخين الماء من خلال وضع الحجارة في النار حتى تسخن، ومن ثمّ يتم وضعها ضمن الأوعية الحجرية التي تحتوي على الماء، فيسخن.



ماذا لو وضعنا اللحم والبقوليات والملح في الماء الساخن ...



وبذلك أصبح بالإمكان استخدام الأواني الفخارية بطرق مختلفة، كحمل المياه وتخزين الحبوب وصنع الطعام المسلوق، وغيرها من الاستخدامات الأخرى.

إنها طريقة جديدة لصنع الطعام!

إنه ساخن ولذيذ أيضاً!

كم هو لذيذ!









بدأ الناس في هذه الفترة بإتقان الأعمال التي تناسب حياتهم، وأصبحوا يعيشون حياة أكثر ثراءً مقارنةً مع غيرهم من الناس.

اسمح لي بطلب ذلك ثانية يا رام.

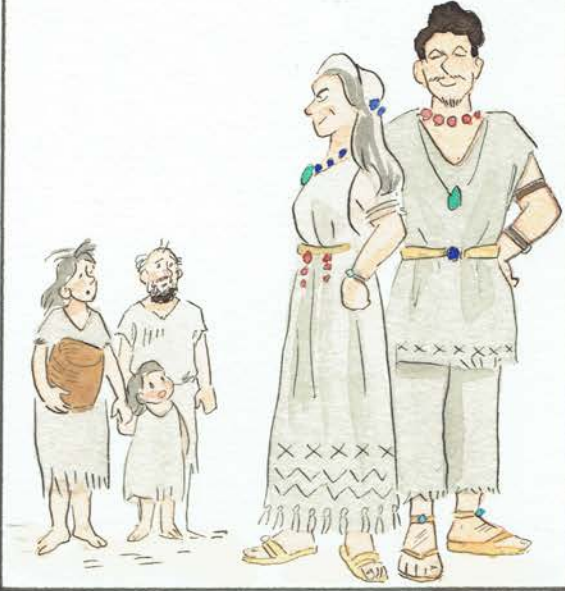
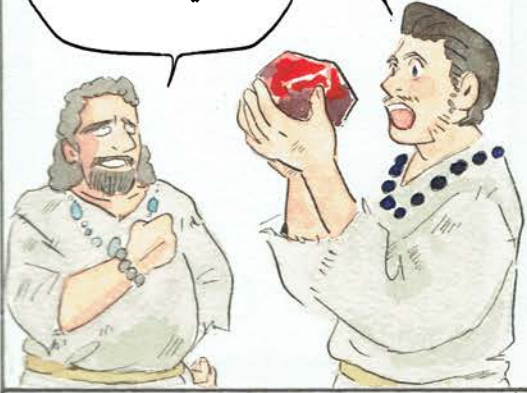


وقد حصل رام على القمح والبقوليات والأغنام من الناس مُقابل الجهد الذي بذله في صنع الخلي الجميلة لهم. كما أحضَرَ بعض الناس أحياناً أجاجاً كريماً نادرةً.

كما أصبحوا يأكلون وجبات ألذ، ويظهرون بمظهرٍ لائقٍ يُحسدون عليه، وتزوجوا من زوجات جميلات وأزواجٍ وسيمين.

هذا مُقابل السكّين التي صنعتها لي.

هذا حجر عقيق أحمر نادر!

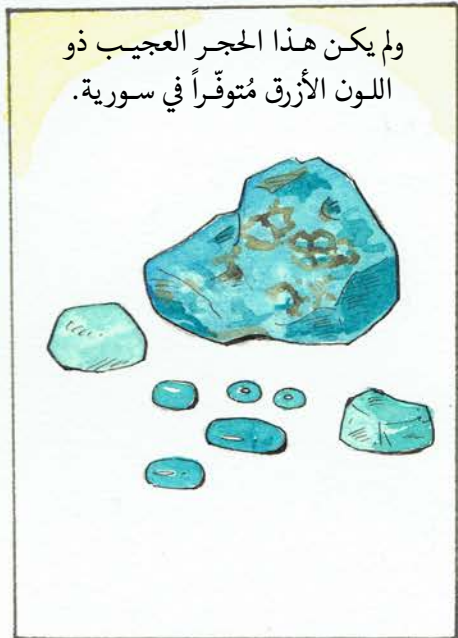


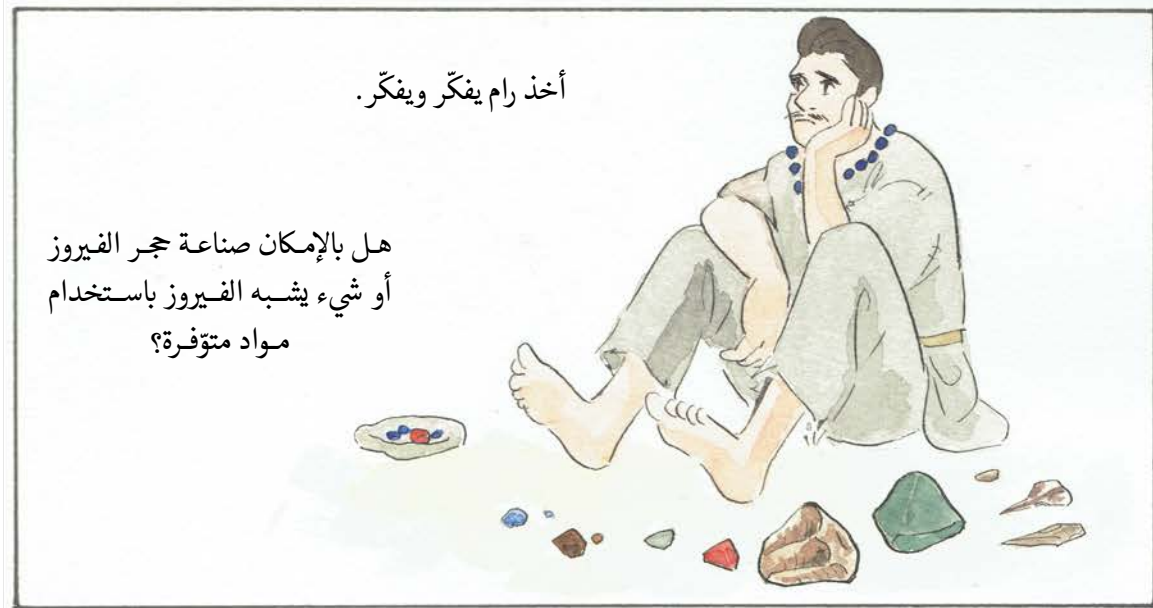
أصبح الناس يقضون رام من مناطق بعيدة طلباً لصناعة الخلي.

هل أنت رام؟

لقد جئنا من قرية قيناس...

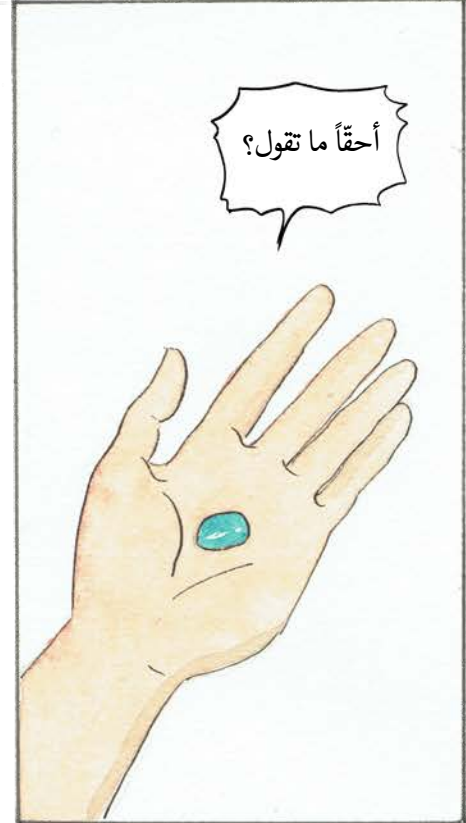






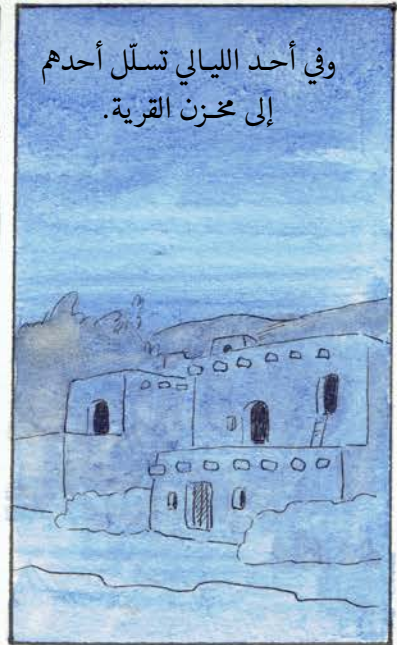






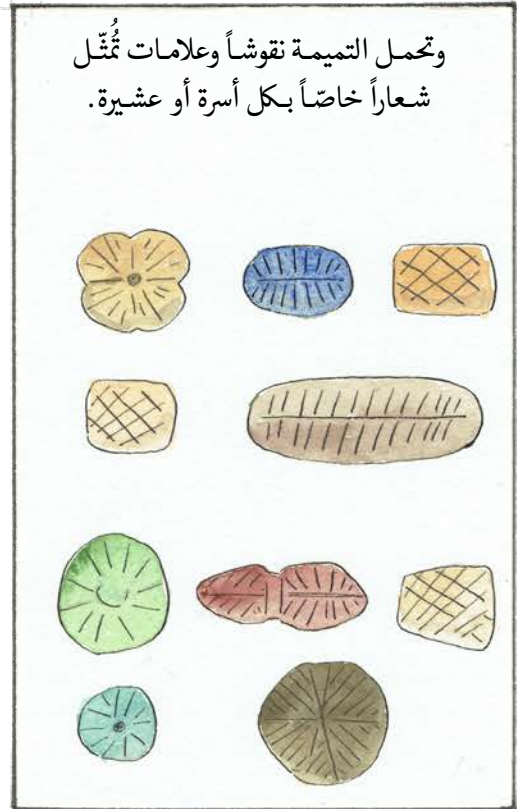


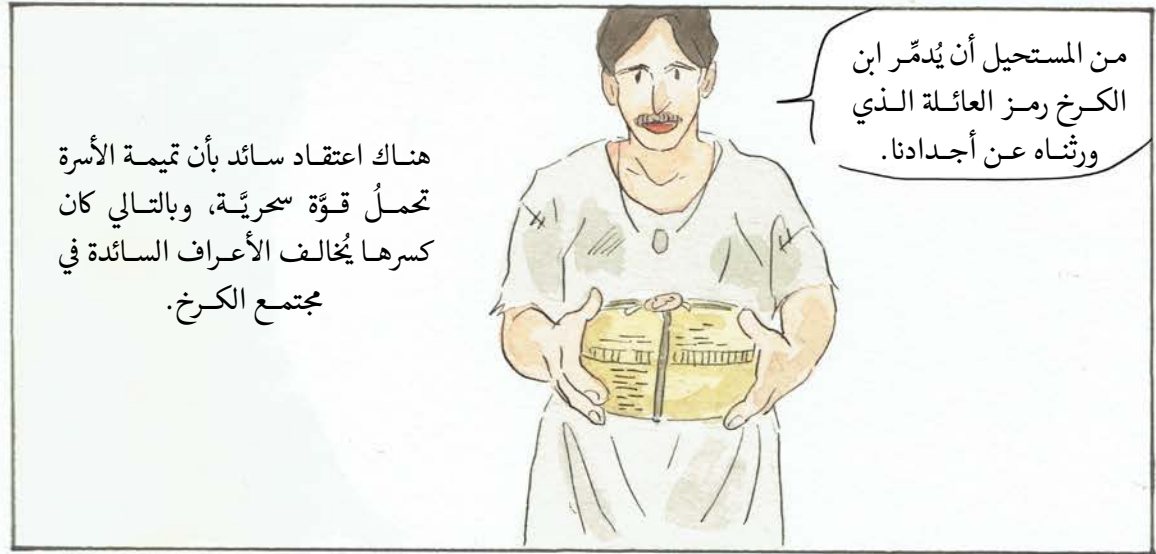






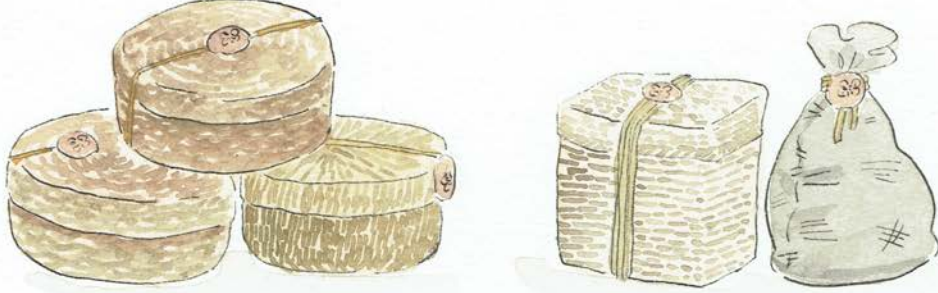






كنتيجة لبراعة وتدبير كيلى فى ابتكار هذه
الطريقة، اختفت حالات سرقة الحلى.

هذا جيد!



لقد كانت هذه الطريقة مفيدة للغاية فى الحفاظ
على الأشياء القىمة التى لا يزداد أن يلمسها الآخرون.



انتشرت طريقة استخدام التيممة فى ختم
السلال إلى القرى الأخرى.

إنها فكرة جيدة!



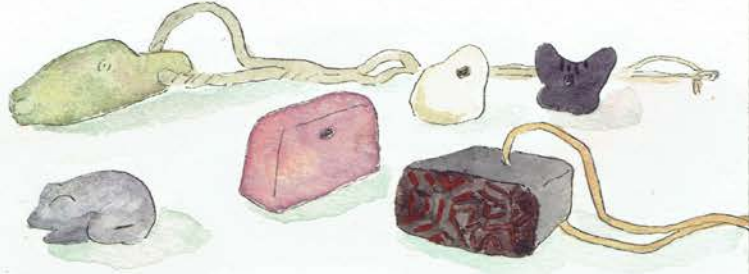
وبهذه الطريقة
يمكن دائماً حمل
الختم وختم الأشياء
عند الحاجة.



كما قام البعض بفتح
ثقوب فى الأختام ولبسوها
كقلادة حول الرقبة، أو
استخدموها كحلى للحزام
حول الخصر.

يُطلق على هذه التمايم
المستخدمة في ختم الأشياء
القيِّمة اسم «الأختام».

وهي مصنوعة من الأحجار
الكريمة والعظام والطين
وغيرها من المواد، كما أنَّ لها
أشكال مختلفة.



كان الناس يحملون الأختام دائماً
ويستخدمونها كتمايم وأختام.

لم يكن استخدام
الأختام يقتصر على
حماية الأشياء فقط بل
حماية الناس أيضاً.

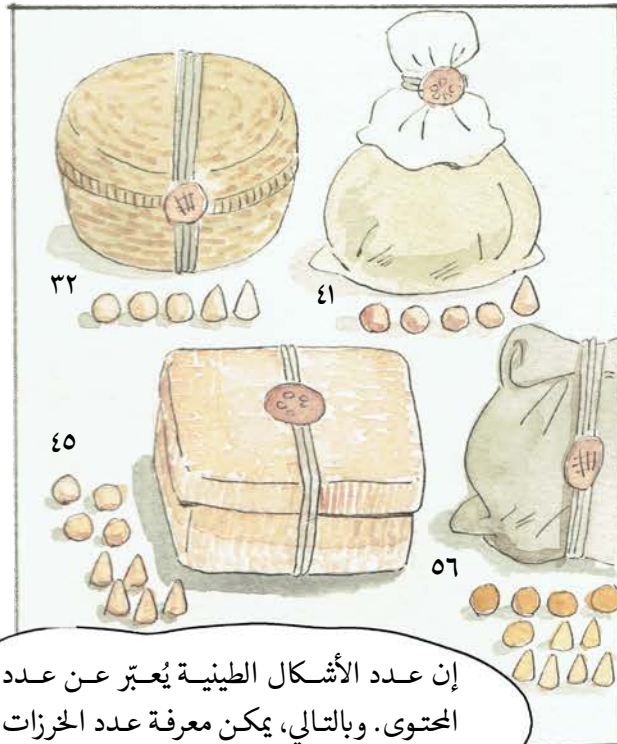


نعم. هل تحتاج
إلى ختمي؟

لقد كنت أبحث عنك.
أودُّ التحقُّق من عدد حَبَّات
الفيروز التي في السلة للتحضير
لاستخدامها في المهرجان ...



يا سيّد كيلى، يا سيّد كيلى!



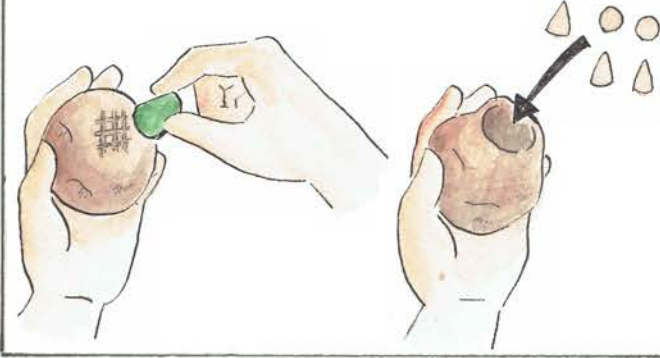
إن عدد الأشكال الطينية يُعبّر عن عدد المحتوى. وبالتالي، يمكن معرفة عدد الحزرات حتى وإن لم تُفتح السلة.



على سبيل المثال، يمكن استخدام هذا النظام أيضاً في حال أراد أحدهم إرسال شيء.



أصبح نظام السلال المختومة ونظام الأشكال الطينية الرمزية «التراكوتا» يُستخدمان لإدارة مختلف الأمور.



إذاً لقد وصل العدد الذي طلبته من الخرز.

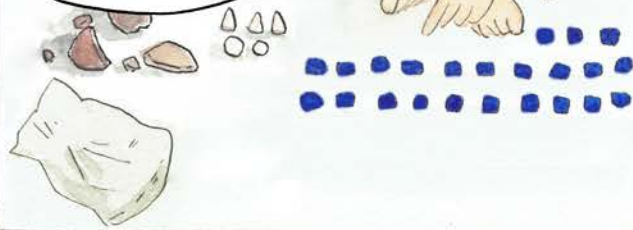


يوجد هنا شكل كرتين.

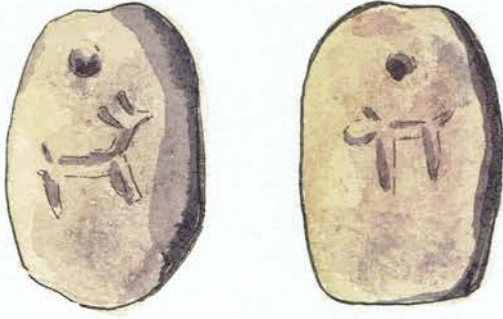
انتشر نظام الأختام في جميع أنحاء سورية ثم تطور أكثر وأكثر، ومن سورية انتشر إلى باقي المناطق في غربي آسيا.



٢،١ ٣،٢... ٢٣.
إنّ الرقم المكتوب على البطاقة الطينية يتطابق مع عدد المحتويات.
يبدو أنّ المحتويات لم يأتسها أحد.



أصبح نظام ختم البضائع واستخدام الأختام
الذي بدأ في بلدة الكرخ شائعاً في حوالي
٦٥٠٠ سنة قبل الميلاد.



وبعدها بـ ٢٥٠٠ سنة، أي حوالي ٣٨٠٠ سنة
قبل الميلاد، أُبتكرت أولى الرقُم الطينية في
سورية للدلالة على نوع وعدد البضائع.

وانتقل نظام هذه الرقُم إلى
جنوب بلاد الرافدين.

وقد ساعد ذلك على اختراع الشكل
الأولي للخط المسهاري هناك، والذي
يُعتبر أقدم نظام نصي في التاريخ
منذ حوالي ٣٢٠٠ سنة قبل الميلاد.



هذا يعني، أنّ أقدم أشكال التواصل التي أدّت فيما بعد للوصول إلى
نص مكتوب، كانت من بنات أفكار السوريين.

الفصل الرابع

نشأة المدن



١-٤ من قرية زيادة إلى مدينة ناچار

عندما تضررت المناطق حول حوض نهر الفرات، توجه أهالي قرية جرف الأحمر غرباً، بينما توجه جيرانهم أهالي قرية المريط شرقاً.



كانت هناك عدّة روافد تصبّ في نهر الخابور، وقد وقرت كمية كافية من المياه لزراعة ونمو القمح والشعير، فتجمّع فيها الناس من أنحاء سورية وتوسّعت القرى.



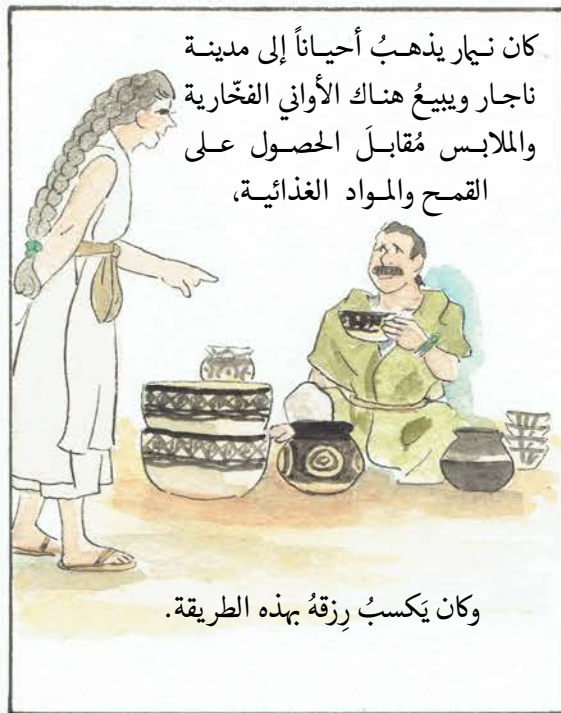
وبعد رحلة طويلة، استقروا على ضفاف نهر الخابور وهو أحد فروع نهر الفرات في منطقة خضراء غنيّة بالمروج تُعرف حالياً باسم محافظة الحسكة.



وبعد آلاف السنين، أصبحت تلك المنطقة واحدة من المناطق الريفية الرائدة في غرب آسيا.



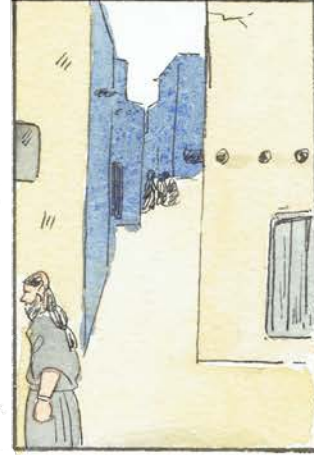








وأثناء ذلك في ضواحي مدينة ناجار







وفي اليوم التالي جاب الزوجان الشابان أنحاء المدينة بحثاً عن والديّ الطفل. ولكن لم يتعرّف أحد من مدينة ناجار على الطفل.





ولكن، وبعد مرور عدّة أيام،
وقّعت حادثة مُشابهة كادت
تُخطف فيها نيسابا وابنتها أيضاً.

يا للهول!



ومرّت بعد ذلك سنوات. لم يتوقّف نيار
وزوجته نيسابا عن البحث عن طفلهما
المفقود، ولكن دون جدوى.

لا جدوى من
البحث هذه
السنة أيضاً.

لا تيأسي يا نيسابا!



ولكن ...
هل ستترك المصنع؟

أنا موافقة.

لم أعد أحمّل
البقاء في هذه
القرية، لنخرج
منها ونذهب إلى
مكان آخر ...
بالقرب من ناجار.

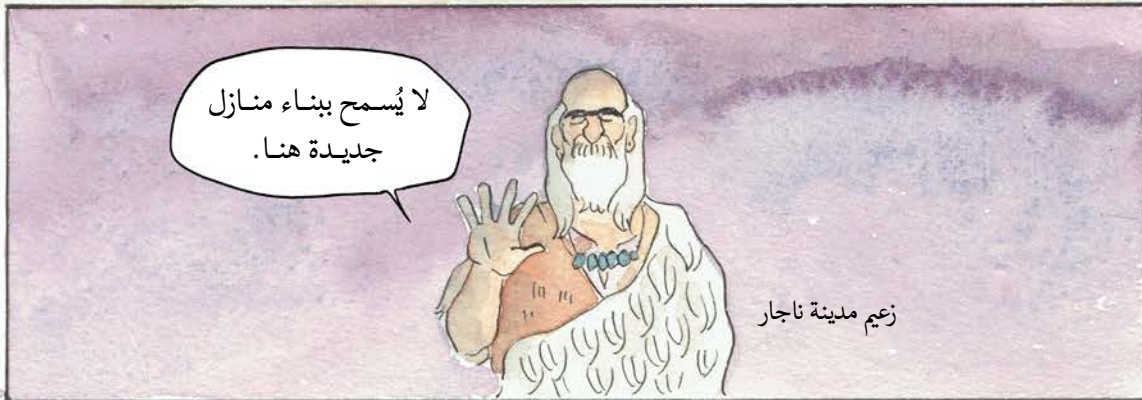


لم تُعد هذه القرية
أمنة كما كانت ...
لم يكتفوا بابني، بل
أرادوا خطف زوجتي
وابنتي أيضاً ...



حسناً ... ولكن كيف
هم الناس هناك يا ثرى؟

قال الحرفيون أنّهم سوف
يأتون معنا، وسأقوم ببناء
مصنع جديد هناك.







وهكذا واصل نجار وأهل القرية صنع الأدوات الفخارية والمعدنية في قرية زيادة الجديدة التي بنوها في ضواحي مدينة نجار.

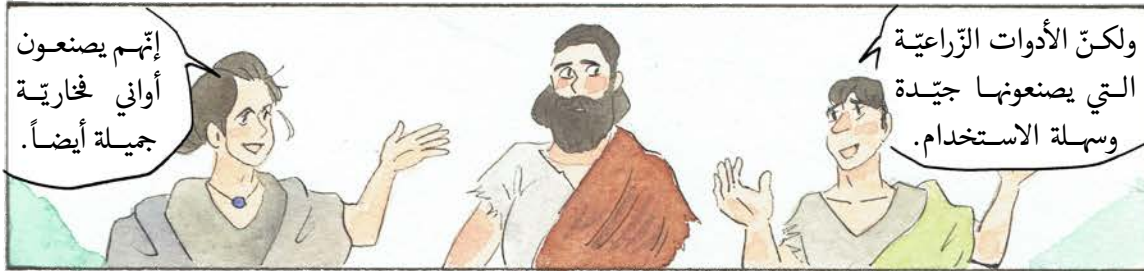
أنا سعيدة، فقرب نجار يختصر علينا التعب!

يا لها من ثرارة.



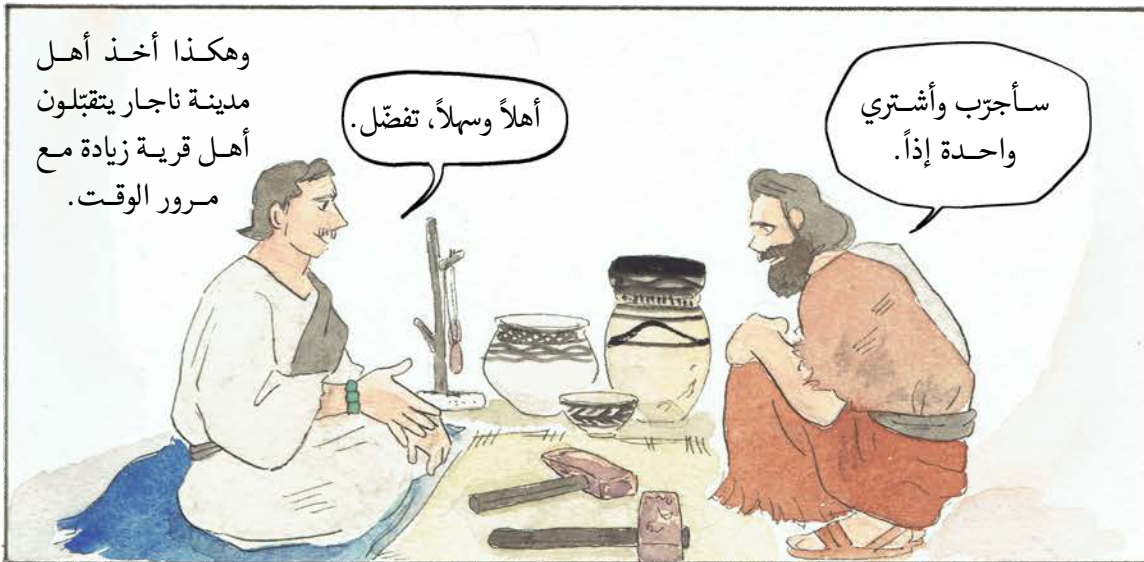
ابتعد أهل مدينة نجار في البداية عن أهل القرية الجديدة، ولكن ...

ما هذا، لقد قام هؤلاء ببناء قرية بجوارنا دون إذن من أحد ...



ولكن الأدوات الزراعية التي يصنعونها جيدة وسهلة الاستخدام.

إنهم يصنعون أواني فخارية جميلة أيضاً.



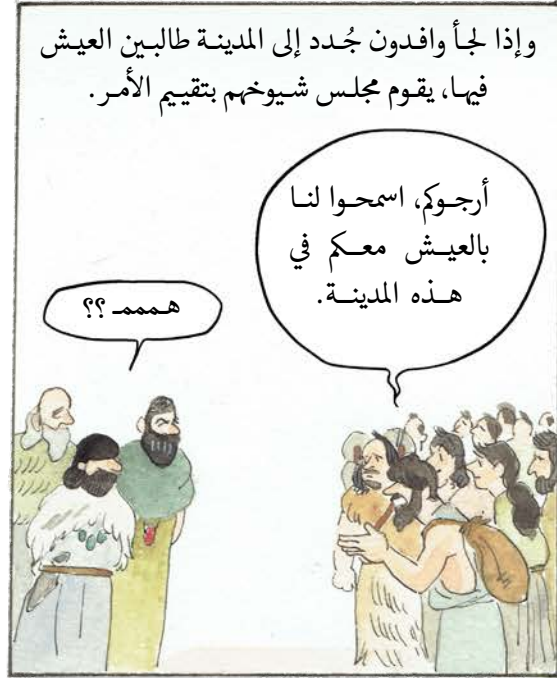
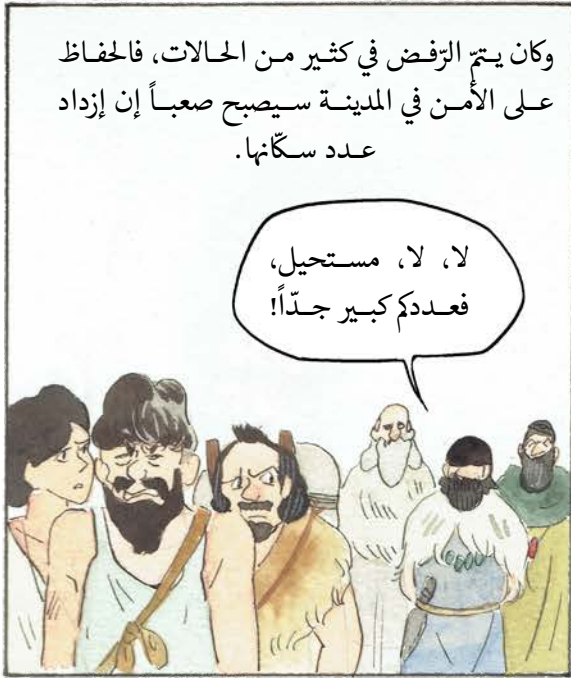
سأجرب وأشتري واحدة إذاً.

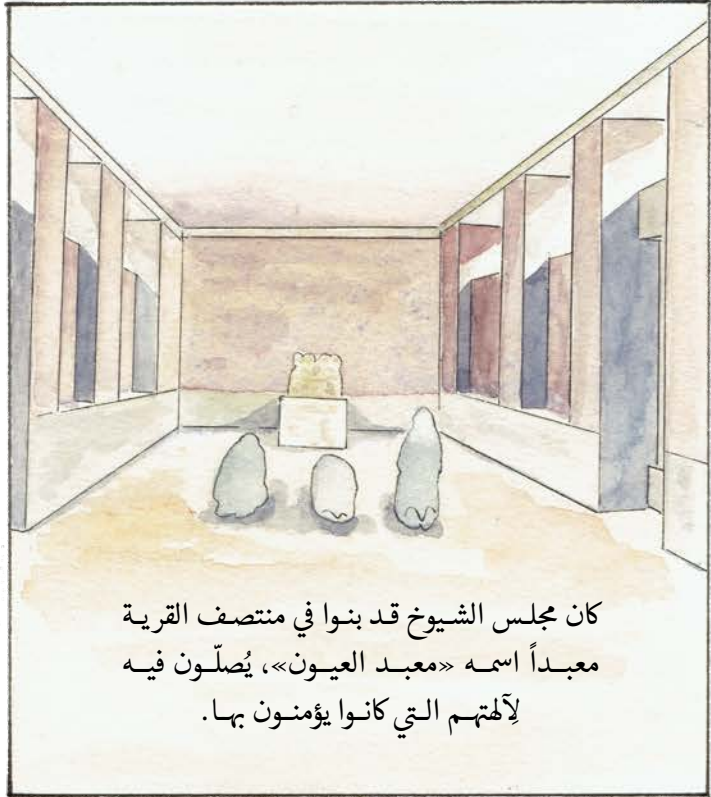
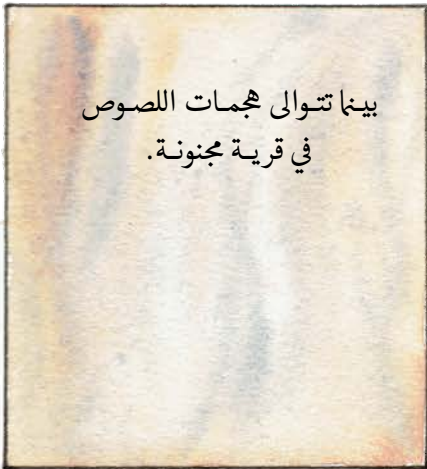
أهلاً وسهلاً، تفضل.

وهكذا أخذ أهل مدينة نجار يتقبلون أهل قرية زيادة مع مرور الوقت.

٢-٤ مأساة في ضواحي ناچار







لا يمكننا الإطمئنان
بالاعتماد على مجلس
الشيخ ونقف مكتوفي
الأيدي هكذا.

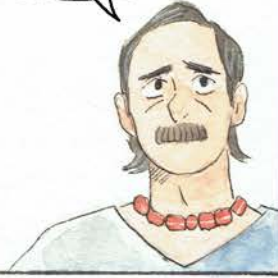


ولم يبقَ أمام الناس سوى أن
يتصرفوا بأنفسهم.

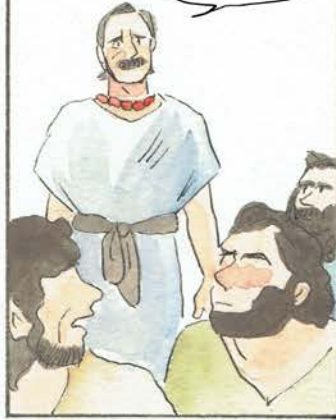
اجتمع كبارُ مدينة ناجار والقرى
المحيطة بها لمناقشة الأمر.

ما رأيكم أن نبني
جداراً من الطوب؟

سور يحيط بالمدينة والقرى
المحيطة بها، نجعله عالياً لا
يمكن تسلقه.



أنا لديّ فكرة.



أسمعونا ما عندكم،
ألا يوجد أحد بينكم
لديه فكرة جيّدة؟

غمغمة.

غمغمة.



نستطيع ذلك إذا تساعدنا
مع أهالي القرى المجاورة.

ومن الأفضل الإسراع في
الأمر، فلا أحد يعرف
متى يأتي اللصوص.



ولكنّ سوراً كبيراً كهذا
يستهلك الكثير من الجهد
والوقت، هذا مستحيل.



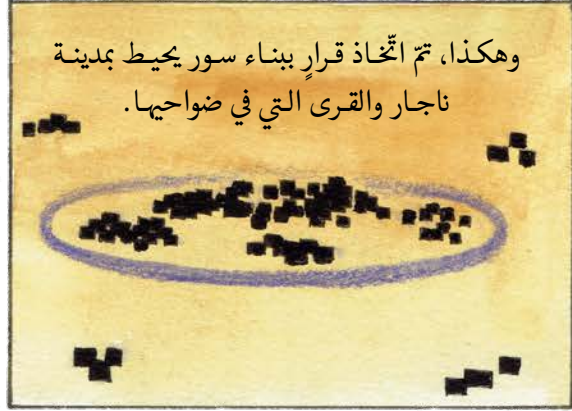
بهذه الطريقة نستطيع
حماية المدينة وما
حولها من اللصوص.

بالفعل ...
إنّها فكرة جيّدة.





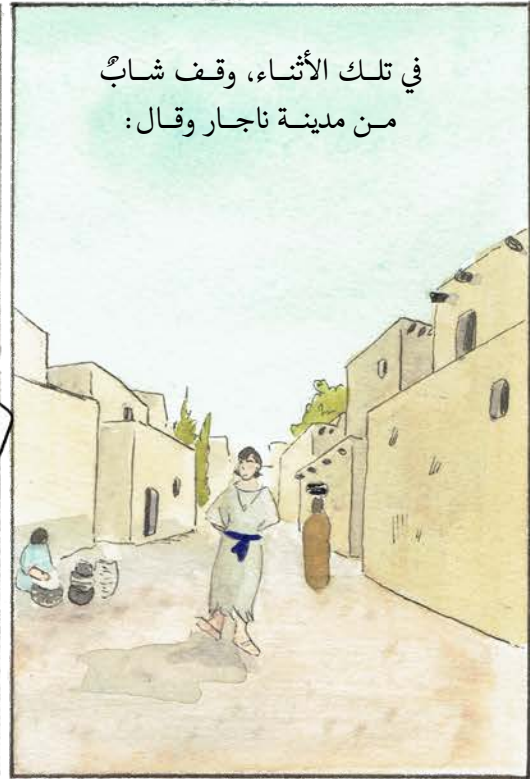
أما شيوخ المدينة، فقد وصلوا
صلاتهم في معبد العيون دون انقطاع.



وهكذا، تم اتخاذ قرار ببناء سور يحيط بمدينة
ناجار والقرى التي في ضواحيها.



وأخيراً، لقد عاد الهدوء
إلى المدينة.
رغم ذلك، ما زال الشيوخ
يجتمعون ويصلّون في المعبد.



في تلك الأثناء، وقف شابٌ
من مدينة ناجر وقال:



لا أحد يدري ...

ليس باستطاعتهم فعل أي
شيء أليس كذلك.



ما بك؟
لا تبدو
مطمئناً!

مممم



سور؟

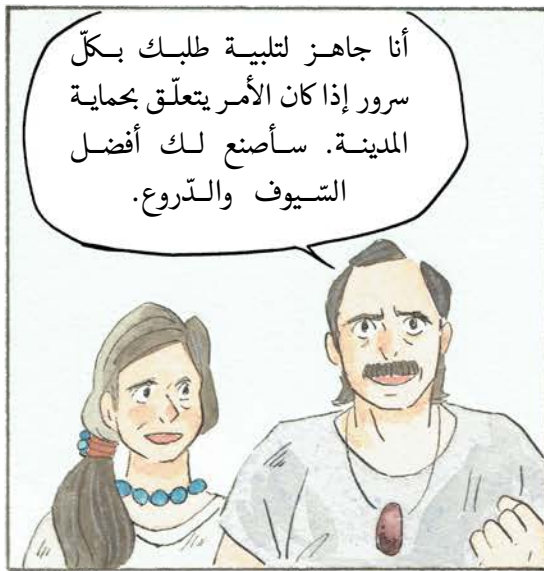
ولكن سمعتُ عن سور سيئني
حول المدينة، ويقولون أنّ هذا
السور سيكون كافياً لحمايتها.





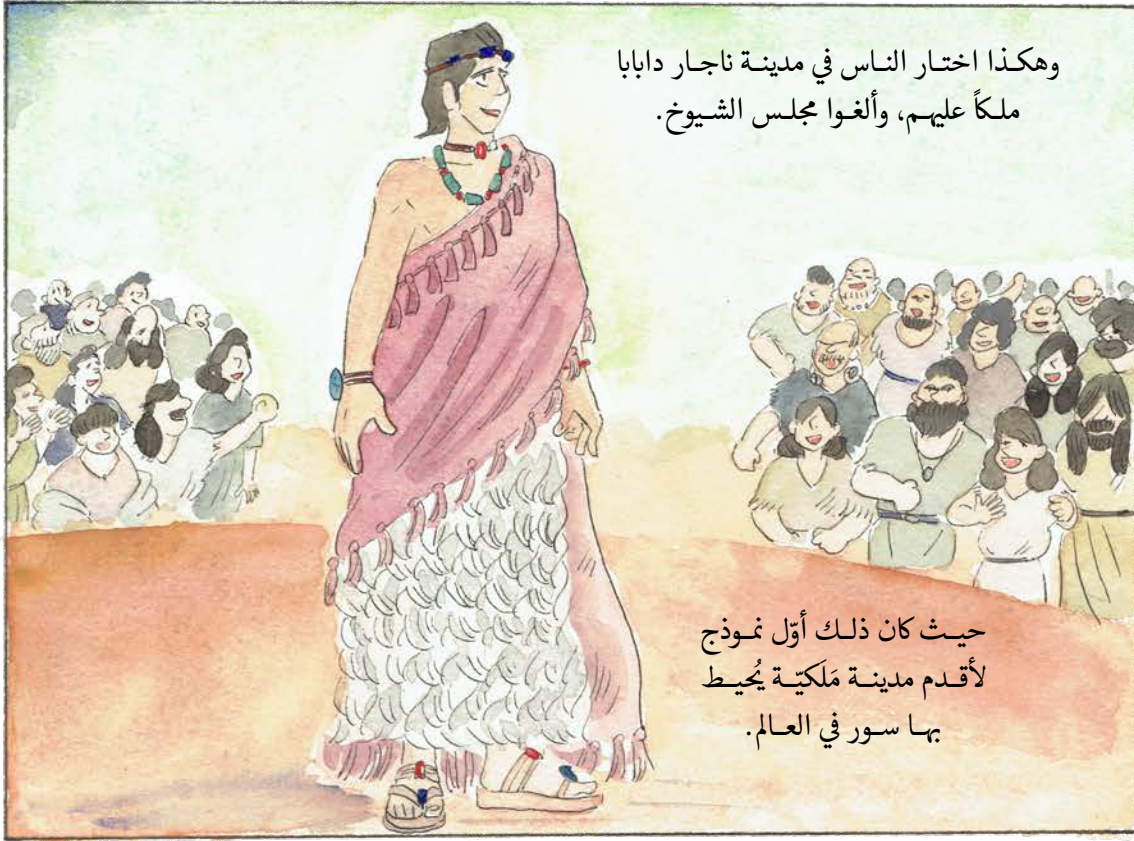






٣-٤ داديا يُصبح مَلِكاً





أهدي دابابا كأساً مصنوعاً من البازلت الأسود وله قاعدة رخامية، وختماً ملكياً رُسم عليه أسد.



ياللروعة
ما أجمله.

يجب أن تُنشئ منطقة
خاصة داخل المدينة
تجمع الحرفيين كي
يستطيعوا
المُتاجرة بضائعهم
بشكل أفضل.



عليّ أن أكون
عند حسن ظنّ
الناس.



وفعلاً، تم إنشاء سوق خاص للحرفيين، فازدادت حركة
البيع والتجارة فيه مما أدى إلى تطوّر المدينة أكثر وأكثر.





تعوّم سورية التي تقع في الجناح الغربي للهِلال الخصب على بحر من المواقع الأثرية المهمّة التي يعود تاريخها إلى حقب زمنية مختلفة. وتكاد لا تخلو بقعة من أرضها من بقايا أثرية، وأطلال مدن أو تلال أثرية تحوي في باطنها بقايا حضارات اندثرت وأظهرتها معاول الأثاريين لتحكّ لنا أروع قصص عن أقدم الحضارات التي نشأت في سورية وأسهمت في بناء الحضارة والتي لاتزال البشرية تنعم بها إلى يومنا هذا. كيف لا وأجدادنا هم من بدؤوا الزراعة، وأنشؤوا المجتمعات المُنتجة للغذاء، وصنعوا الأدوات الحجرية الفريدة، وبنوا القرى وقاموا بتنظيمها، وصنعوا الفخّار والأختام، وابتكروا نظام العدّ والتسجيل والتي أسهمت في نهاية الأمر إلى ظهور الكتابة والأبجدية، وكانوا صناعاً مهرة تركوا بصمتهم في مجال التعدين وصنع الزجاج والنسيج والحفر على الخشب وغيرها من التقنيات المتقدّمة، كما أسهموا في نشوء المجتمعات الحصريّة، وبنوا المدن ورفعوا أسوارها، وشيّدوا القصور المملّكية والمكتبات التي تضمّ عشرات آلاف الرّقم الفخارية والسجّلات المكتوبة التي تحكي لنا تاريخ أرض توالى عليها حضارات امتدّ نفوذها على مساحات شاسعة. لقد أسهمت الابتكارات التي قدّمتها الحضارة السورية إلى جانب الحضارات العريقة الأخرى في الشرق الأدنى بدور بارز على بقية العالم، وقدّمت الأسس لجميع الحضارات الحديثة. وهنا، يجب علينا أن ندرك مكانة سورية كأساس لكلّ الحضارات الحديثة، ومُلتقى الحضارات منذ فجر التاريخ.



تمت طباعة هذه القصة المصورة بتمويل من
وكالة الشؤون الثقافية في الحكومة اليابانية

٢٠٢٠



文化庁

Agency for Cultural Affairs,
Government of Japan